

توفيق الحكيم



أشواق المسلم



مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم



أشواك السلام

مسرح

1957



كتب اونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الفصل الأول

المنظر الأول

عند الخطيب

قاعة الاستقبال في منزل والد الخطيب ... وهذا الخطيب من ألمع شباب السلك السياسي ... إنه الآن يدنو من زميل له يجلس في مقعد مريح؛ ليقدم إليه سيجارة، ثم يشعلها له.)

الزميل (وهو ينفث الدخان في راحة ومنتعة): شكراً! ... (يتلفت حوله) جو الدفء والطمأنينة! ... هذا الجو العائلي! ... إنه لشيء ثمين حقاً بالنسبة إلى أمثالنا رجال السلك السياسي من الشباب العزاب! ... نُمضي حياتنا في الفنادق من بلد إلى بلد، حتى كدنا ننسى أننا نشأنا في أسرة، مثل بقية خلق الله! ... على الأخص من كان في مثل ظروفي ... فقد والديه ... حتى عندما أعود إلى بلدي في مهمة أو إجازة فإنني أسكن في فندق! ... فليق الله لك والديك أيها الصديق! ... إنك على كل حال تستطيع أن تنزل من وقت إلى آخر في بيت العائلة!

الخطيب: المشكلة بسيطة: تزوج!

الزميل: أتزوج؟ ... كيف؟ ... هل عندي وقت للعثور على عروس؟! ... إنني كما تعلم مسافر بعد يومين إلى «جنيف»!

الخطيب: وكيف استطعتُ أنا العثور على عروس؟!

الزميل: هذا ما يدهشني!

الخطيب: وما يدهشني أنا نفسي! ... أعترف لك بذلك ... إنها كانت محض مصادفة!

الزميل: وهل المصادفة يقاس عليها؟!

الخطيب: لا، بالطبع، ولكنها مع ذلك يمكن أن تحدث لك ... في يوم من الأيام.

الزميل: إلى أن تحدث — وقد لا تحدث — فإنني نزيل الفنادق ... وهو الوضع العكسي لنزيل السجون ... كلاهما محكوم عليه ... غير أن أحدهما في سجن متحرك باستمرار! ... والآخر في سجن ثابت باستمرار! ... والاثنان محرومان من جو الأسرة والاستقرار العائلي!

الخطيب: الاستقرار! ... حقاً هذا شيء ثمين!

الزميل (وهو ينهض): لقد أصبحت أنت قريباً منه! ... أهنتك! ... متى الزواج؟

الخطيب: الخطبة الرسمية لم تُعلن بعد!

الزميل: وماذا تنتظر؟ ... عودتك من «جنيف»؟! ... المؤتمر الذي نذهب إليه قد ينتهي بعد أسبوعين!

الخطيب: قبل السفر ... قد يتم كل شيء!

الزميل: السفر بعد يومين كما تعلم!

الخطيب: لا يحتاج إعلان الخطبة إلى وقت! ... سأحاول.

الزميل: نعم ... حاول! ... أرجو لك التوفيق! (يمد يده مودعاً) انتهيت بالطبع من صياغة المذكرة المشهورة!

الخطيب: كنت أختمها الآن قبيل حضورك بهذه الأسطر: «العالم كله يريد السلام! ... كل فرد في كل شعب من شعوب الأرض لا ينشد غير الاستقرار والسلام! ... لماذا لا يتم السلام إذن؟ ... ما هي العوائق في طريق السلام؟ ...» ما رأيك؟!

الزميل: حقاً، هذه العوائق في طريق السلام! ... من يضعها؟ ... لا ندري! ... من أجلها نحضر المؤتمرات التي تجتمع وتنفض، دون أن نصل إلى نتيجة!

الخطيب: هذه المرة يجب أن نصل إلى نتيجة ... لقد وضحت كل شيء في المذكرة، ووضعت فيها كل أملي ... وعندما يتحقق الأمل، سأترك السلوك السياسي.

الزميل: تتركه؟!

الخطيب: في الحال ... إنه بالنسبة إليّ لم يكن وظيفة ... إنه رسالة! ... أما حياتي الحقيقية، التي أحب أن أعيشها فهي هناك ... في شيء آخر: تربية الحمام.

الزميل: حمام السلام؟!

الخطيب (باسماً): إذا شئت! ... ولكنه حمام حقيقي ... كنت أهوى تربيته في الصغر ... والدي «محافظ الغربية» — كما تعلم — سيحال على المعاش بعد عام، له مزرعة كبيرة، اتفقنا على أن نعمل فيها معاً، على أن يخصص لي جزءاً منها أقيم عليه أبراجاً للحمام تحيط بمنزلي الريفي.

الزميل (وهو يمد يده مرة أخرى مودعاً): جميل!

الخطيب: إلى اللقاء أيها الصديق!

الزميل: في المطار.

الخطيب: صباحاً؟

الزميل: بل في منتصف الليل ... لأوفر ليلة في الفندق.

الخطيب: أما أنا فقد حجزت مقعدي في طائرة العاشرة صباحاً ... لست أحب سفر الليل ... إلى الملتقى إذن في «جنيف».

(يُشيع صديقه إلى الخارج ... وعندئذ يطل رأس أشيب لسيده؛ هي والدة الخطيب، ثم تظهر وهي تشير بيدها إلى رجل كهل يظهر خلفها، هو والده.)

والد الخطيب (هامساً): خرجا؟!

الوالدة (هامسةً): إنه يُشيع صديقه إلى الباب ... اسمع! ... من رأيي أن تتلطف كثيراً في معارضة رغبته.

والد الخطيب: ومن واجبي أيضاً أن أعرض عليه الحقائق.

الوالدة: برفق، أرجوك! ... برفق! ... (ملتفتةً إلى الباب) إنه عائد.

الخطيب (يعود): الآن ... فلنواصل الحديث في الموضوع.

الوالدة (بسرعة): والدك بالطبع موافق على كل ما تريد.

الخطيب: نعم، ولكنه غير متحمس للفكرة.

والد الخطيب: لفكرة الإسراع فقط.

الخطيب (لوالده): عندما ذكرت لك اسم والدها ظهر على وجهك الامتعاض! ... أليس كذلك؟

والد الخطيب: أنا؟!

الخطيب: ربما كنتُ مخطئاً في الفهم!

والد الخطيب: إنني لم أمتعض. والدها كان زميلي في كل مراحل حياتي الإدارية. كان ينافسني حقاً في بعض المناصب، ولكن هذا شيء آخر، لعل الذي ظهر على وجهي كان العجب أو المفاجأة!

الخطيب: فيم العجب؟!

والد الخطيب: لكان الأمر مُدبراً أو مقصوداً! ... إنك تؤكد أنها محض مصادفة! ... ولكنها مصادفة عجيبة على كل حال ... أن تعجبك فتاة فإذا هي ابنة ... «محافظ الشرقية»!

الخطيب: إنه رجل فاضل.

والد الخطيب: هل عرفته؟

الخطيب: لا ... لم أره بعد. ولكن إذا كان مثل ابنته، فلا بد أنه رجل ممتاز!

والد الخطيب: لسنا الآن في مجال الحديث عنه.

الوالدة: أعجبتك ابنته إلى هذا الحد؟!

الخطيب: جداً.

الوالدة: جميلة بالطبع.

الخطيب: مقبولة ... في نظري على الأقل ... ولكن ليس الجمال هو الذي لفتني إليها.

الوالدة: أنيقة؟

الخطيب: وليست الأناقة.

الوالدة: لبقة؟

الخطيب: وليست اللباقة.

الوالدة: عجيبة يا ابني! ... لا الجمال ولا الأناقة ولا اللباقة ... ما الذي لفتك إليها إذن؟

الخطيب: رأي ... رأي سمعته منها وأنا جالس على «البلاج» في استرخاء ... يوم ذهبت أستجم يومين، كما قلت لكم ... لم أكن أدري من الجالس خلفي ... ولم أكن أعنى بمعرفة ذلك ... لم يكن هناك شيء يلفت نظري ... غير صفاء البحر وحده ... وإذا بحديث يدور بين سيدات خلفي تحت مظلة ... لم ألقِ إليه بالاً في أول الأمر ... واحتدمت المناقشة بين السيدات ... وإذا صوت هادئ بينهن يدلي بكلام قابلنه جميعاً بالسخرية، وقابلته أنا بالاهتمام، والتفتُ خلفي لأرى صاحبة هذا الصوت وهذا الرأي.

الوالدة: ماذا قالت؟

الخطيب: كان الحديث بينهن يدور حول الحماية؛ كانت كل واحدة منهن تتبارى في عرض الخطط التي دبرتها لإخضاع حماتها ... وإذا بصاحبة الصوت الهادئ تقول: «لماذا هذه العداوة للحماية؟! ... لماذا تدخل الزوجة على حماتها كأنها تدخل على عدو ... قبل أن تعرفها، وقبل أن تحاول فهمها؟! ... ما من سببٍ لمثل هذه العداوات غير سوء فهم متوارث من عهود همجية! ... إن السلام مع الحماية أمر ممكن مع شيء من العقل والفهم! ... كل سلام ممكن مع شيء من العقل والفهم.»

الوالدة: قالت ذلك؟!

الخطيب: قالت أكثر من ذلك، ولكن أغلبه ضاع ولم أسمع، بين ضجيج الاحتجاج والاستهزاء ممن حولها.

الوالدة: إنها فتاة طيبة!

الخطيب: تلك هي الفتاة التي أريدها زوجة لي.

والد الخطيب: لأنها تريد أن تحب حماتها؟!

الخطيب: هذا وحده ينمّ على معدن طبيعتها!

الوالدة: بالتأكيد ... معدن طيب حقيقةً!

والد الخطيب (للوالدة): عرف كيف يكسبكِ إلى صفه! ... لا عجب! ... إنه سياسي خطير!

الخطيب: لا يا والدي العزيز ... إني لست سياسياً ولن أتخذ السياسة مهنة ... وأنت تعرف مشروعاتي!

والد الخطيب: هذه إذن الحمامة التي تريد أن تُسكنها عُشّ الحمام!

الخطيب: نعم ... إنها هي ... وأعتقد أن المصادفة السعيدة قد خدمتني.

والد الخطيب: لست أعترض.

الوالدة: نعم ... والدك لا يمكن أن يعترض على اختيارك ... إنك — يا ابني — لك مكانة يفخر بها الجميع ... ورأيك له قيمته عندنا جميعاً ... ولكن قلب الوالد يريد دائماً أن يطمئن.

الخطيب: وهل اطمأن الآن؟

الوالدة: نعم.

الخطيب: أريد أن أسمعها من فمه.

والد الخطيب (بعد تردد): نعم.

الخطيب (وهو يتجه إلى جهاز تليفون فوق منضدة): إذن؟

والد الخطيب: ماذا تفعل؟

الخطيب: أطلب موعداً مع والدها.

والد الخطيب: الآن؟ ... لحظة واحدة ... دعني أوضح لك الأمر ... أنت لا تعرف والدها ... إنه سييء فهم الموقف إذا لم أبدأ أنا بمحادثته في هذا الموضوع أولاً.

الخطيب: إنه يعرف هذا الموضوع ولا شك ... ابنته أخبرته بكل شيء.

والد الخطيب: فاتحتها إذن؟

الخطيب: بالطبع ... بعد المقابلة الثانية.

والد الخطيب: المقابلة الثانية؟!

الخطيب: نعم كان هذا كافياً ليحكم أحدنا على الآخر ... حقاً تم الاتفاق بيننا سريعاً ... كما يحدث بين الشباب المراهق الطائش على «البلاج» ... ولكن الأمر فيما يخصنا كان

مختلفاً ... لأنه لم يكن مبنياً على عواطف ملتبهة زائلة.

والد الخطيب: اترك لي الموضوع.

الخطيب: وهو كذلك ... على أن يتم إعلان الخطبة قبل سفري كما سبق أن طلبتُ.

والد الخطيب: مستحيل ... قبل سفرك؟ ... أنت مسافر بعد يومين ... الإسراع بهذا الشكل متعذر عملياً ... إعلان الخطبة يحتاج على الأقل إلى حفلة تعارف عائلية ... وإعداد مثل هذه الحفلة والاتفاق على موعدها ...

الوالدة: حقاً ... إعداد ثوبي وحده يحتاج إلى أسبوع على الأقل.

الخطيب: ثوبك؟!

الوالدة: بالطبع، لا بد لي من ثوب خاص لهذه المناسبة ... يجب — يا ابني — أن نظهر بالمظهر اللائق.

والد الخطيب: خصوصاً أمام هؤلاء!

الخطيب (في إذعان): إذن ...

والد الخطيب: سافر وعدّ إلينا بالسلامة، وعند عودتك ستجد كل شيء قد أُعدّ ... إنك ستعود بعد أسبوعين ... أليس كذلك؟ ... خلال هذه المدة نكون قد قمنا باللازم.

الخطيب: ليس لي الآن إلا أن أضع الأمر بين أيديكم.

والد الخطيب: وأنت مطمئن غاية الاطمئنان!

الخطيب (ينظر في ساعته): أريد أن ألقى نظرة أخيرة على تقريرتي.

الوالدة: لا تسرف في إجهاد نفسك يا ابني!

الخطيب (وهو منصرف): لا تخافي يا والدتي العزيزة! ... نبهيني على كل حال إذا اقتربت ساعة العشاء!

(يخرج ويبقى الوالدان صامتين لحظة ... إلى أن يتأكد لهما أنه ابتعد.)

الوالدة (لزوجها): والآن أخبرني بصراحة ... إنه على حق ... إنك غير متحمس.

والد الخطيب: إنني متخوف.

الوالدة: متخوف من ماذا؟

والد الخطيب: هذا الرجل الذي يريد ابننا أن يتزوج ابنته! ... أتعرفين أي نوع من الرجال هو؟!

الوالدة: كل ما أعرف عنه هو أنه زميل لك.

والد الخطيب: هذا لا يكفي ... إنه متوحش.

الوالدة: متوحش؟!

والد الخطيب: إنه هو الذي قتل زوجته!

الوالدة: ولكن المعروف أنها ماتت مريضة بالقلب.

والد الخطيب: هو الذي قتلها ... كان يشك في سلوكها ... وكان يحبسها ويجردها من حليها ومالها ... وكان يعذبها بالجوع والحرمان، حتى هزل بدنها، وضعف قلبها ... إنه رجل لا قلب له ولا إيمان عنده!

الوالدة: ربما كانت إشاعات.

والد الخطيب: بل هذا شيء مؤكد!

الوالدة: فليكن ... ما دخل هذا في زواج ابننا؟!

والد الخطيب: ابنته ... التي نشأت في مثل هذا الجو!

الوالدة: تريد أن تقول: إنها ...

والد الخطيب: من يدرينا بحقيقة سلوكها هي أيضاً! لقد ماتت عنها أمها وهي في الخامسة عشرة ... ومنذ ذلك الوقت وهي لا تعيش إلا مع أبيها هذا ... بلا رقابة ولا تهذيب، إلا ما يستطيع مثله أن يحيطها به ... هل تطمئنين إلى ذلك؟!

الوالدة: وكيف استطاع ابننا، وهو الحصيف، أن يجد فيها مثله الأعلى؟!

والد الخطيب: تهور! ... اتخذ قراراً سريعاً ... على «البلاج»!

الوالدة: السرعة لا تهتم ... إن النفوس المتألفة قد تتعارف وتتفاهم في طرفة عين.

والد الخطيب: إن لم يكن هناك خداع!

الوالدة: أتظن أنها تخادعه؟!

والد الخطيب: ابننا ذو مركز ممتاز ... كل فتاة تحلم بمثله ... وتلقي شباكها حوله.

الوالدة: أخشى أن تكون مجرد مخاوف.

والد الخطيب: واجبنا أن نكون على حذر ... وأن نحمي ابننا من الطامعين فيه.

الوالدة: وماذا نضع في هذه الحالة؟!

والد الخطيب (ينظر في ساعته): لي وسائل!

الوالدة: وسائلك؟ ... ما هي؟!

والد الخطيب: ستعرفينها في الوقت المناسب ... أما الآن فيجب أن يبقى كل شيء في طي الكتمان.

الوالدة (ناظرةً إلى وجهه ملياً): يظهر أنك قد ... أعددتَ بالفعل شيئاً.

والد الخطيب: بالطبع ... مثلي لا يقف مكتوف اليدين!

الوالدة: أخشى أن يضر ذلك برغبته.

والد الخطيب: لا تخشي شيئاً.

(خادم يظهر حاملاً بطاقة زيارة يتقدم بها إلى رب البيت.)

والد الخطيب (يطالع بسرعة البطاقة): فليدخل!

الوالدة (ناهضةً): زيارة؟!

والد الخطيب: نعم ... أحد موظفي المحافظة ... جاء لعمل رسمي هام ... أرجو تركنا على انفراد وإغلاق الباب علينا!

(الوالدة تخرج سريعاً، كما يخرج الخادم، ويبقى والد الخطيب وحده يتأهب لاستقبال الزائر ... ولا تمضي لحظة حتى يظهر رجل غريب الصورة، بلحية طويلة وحركات مصطنعة.)

والد الخطيب (للرجل): ما هذا؟!

الرجل (وهو يخلع اللحية المستعارة): هذا أنا يا سيدي المحافظ!

والد الخطيب: ما لزوم كل هذا التنكر هنا؟!

الرجل: زيادة في الاحتياط يا سيدي المحافظ ... عندما أبلغوني الإشارة التليفونية بمقابلتكم هنا على وجه السرعة أدركتُ بفراسطي المعروفة أن الأمر — لا شك — يتعلق بجريمة السطو على بنك الرهونات ... ولما كانت العصاة خطيرة جداً، وفي غاية الذكاء والمهارة، وتعرف أن ضابط مباحث المحافظة، الملقب بمخبر الغربية رقم واحد — وهو أنا ولا فخر — الذي يتعقب خطواتها ...

والد الخطيب (مقاطعاً): لا يا حضرة الضابط، الموضوع لا يتعلق بعصابة بنك الرهونات.

مخبر الغربية: بعصابة أخرى إذن؟

والد الخطيب: لا ... بل بشخص معين أريد بعض معلومات عنه.

مخبر الغربية: شخص معين؟ ... من أرباب السوابق؟

والد الخطيب: محافظ الشرقية.

مخبر الغربية: محافظ الشرقية؟!

والد الخطيب: هل تعرف عنه شيئاً؟

مخبر الغربية: لا ... ولكن ...

والد الخطيب: ولكن بالطبع تعرف أنه هو الذي قتل زوجته.

مخبر الغربية (بدهشة): قتل زوجته؟! متى؟

والد الخطيب: عجباً ... ألا تعرف ذلك؟ ... لا بد لمخبر مثلك أن يعرف!

مخبر الغربية: بالطبع قتل زوجته ... أعرف ذلك ... نعم قتلها بواسطة ... بواسطة ...

والد الخطيب: ماتت مريضة بالقلب ... لكن ...

مخبر الغربية (دهشاً): ماتت مريضة بالقلب؟! ... وكيف إذن قتلها؟

والد الخطيب: ألا تعرف ذلك؟ ... إنه هو الذي قتلها؟ ... هذا شيء معروف.

مخبر الغربية (مستدركاً): بالطبع أعرف ذلك ... ماتت مريضة بالقلب ... ثم قتلها!

والد الخطيب: نعم ... هو الذي قتلها.

مخبر الغربية (غير فاهم): طبيعي هو الذي قتلها.

والد الخطيب: لأن أخلاقه فيها وحشية ... هذا شيء معروف عنه من قديم ... لعلك لم تعمل معه ... هذا ظاهر من كلامك ... ولكن أفعاله لا تخفى على أحد ... وبالطبع بلغك كما بلغني وبلغ كل الناس هذا الذي أرويه ... الغرض ... هذا الرجل له بنت ... كما تعلم.

مخبر الغربية: له بنت؟ ... نعم ... أعلم.

والد الخطيب: هذه البنت هي — في الحقيقة — التي أريد المعلومات الدقيقة عنها، أريد أن أعرف كل شيء عن سيرها وسلوكها.

مخبر الغربية: سيرها وسلوكها؟!

والد الخطيب: يقال في الأمثال إن البنت لأمها ... وأمها كانت مشكوكاً في سيرها وسلوكها ... هذا أيضاً شيء معروف.

مخبر الغربية: بالطبع، شيء معروف.

والد الخطيب: هل تعرف شيئاً عنها؟

مخبر الغربية: عن البنت؟

والد الخطيب: عن الأم!

مخبر الغربية: كانت مشكوكاً في سيرها وسلوكها ... وماتت مريضة بالقلب ... وقتلها زوجها!

والد الخطيب: وماذا أيضاً؟

مخبر الغربية: ... وأشياء كثيرة أخرى.

والد الخطيب: مثل؟

مخبر الغربية: مثل ... مثل ... مثل ...

والد الخطيب: يظهر أن ذاكرتك ضعيفة ... وموضوع الأم قديم على كل حال ... نحن اليوم في موضوع البنت ... البنت هي التي تهمنا ... والمطلوب منك الآن هو — كما قلت لك — موافاتي بمعلومات في منتهى الدقة عن هذه البنت.

مخبر الغربية: اعتمد عليّ يا سيدي المحافظ ... سأتعقبها خطوة خطوة، وأعرف حركاتها وسكناتها ... وأتحرى عن مقابلاتها ومواعيدها.

والد الخطيب: على شرط أن يكون كل ذلك في نطاق السرية التامة.

مخبر الغربية: طبيعي.

والد الخطيب: وأن تبلغني النتيجة في خلال أسبوعين.

مخبر الغربية: على أكثر تقدير.

والد الخطيب: شرط أخير ... هذا الموضوع بيني وبينك شخصياً ... أي أنه لا ينبغي لأحد أن يعلم عنه شيئاً.

مخبر الغربية: هذا واجبي يا سيدي المحافظ.

والد الخطيب: بالطبع هذا واجبك، المحافظة على سرية المهمة التي تُندب لها ... مهما تكن صفتها أو صبغتها ... لهذا أعتد عليك اعتماداً تاماً ... وأثق بك الثقة الكاملة.

مخبر الغربية: وسأكون جديراً بهذه الثقة.

والد الخطيب: إني متأكد.

مخبر الغربية (ناهضاً): يسمح لي سيدي المحافظ؟

والد الخطيب (ينهض ويصافحه): شكراً، وأرجو لك التوفيق في هذه المهمة!

(يخرج مخبر الغربية ... ويبقى والد الخطيب وحده يمشي في القاعة ويفرك يديه راضياً وهو يقول: أحسب هذا الرجل الهمجي أننا سنقع في أحابله بهذه السهولة!)

(ستار)

المنظر الثاني

عند الخطيبة

(الخطيبة في نحو العشرين، واقفة قرب جهاز التليفون في قاعة المكتب، ويدها تضع السماعة بعد انتهاء المكالمة، وقد جلس والدها إلى المكتب يقرأ صحيفة، وعلى الجدار فوق رأسه صورة مكبرة لزوجته.)

والد الخطيبة (يضع الصحيفة ويلتفت إليها): ألم يُبلغك شيئاً مهماً؟

الخطيبة: أبلغني أنه مسافر صباح الغد، وسيكون في المطار من الساعة التاسعة.

والد الخطيبة: ستذهبين لتوديعه بالطبع؟ ... هذا ما فهمته.

الخطيبة: واجب ... أليس كذلك؟

والد الخطيبة: ليس واجباً بعد.

الخطيبة: ربما ... ولكن ليس هناك أيضاً ما يدعو إلى التخلف!

والد الخطيبة: تقدير هذا متروك لك.

الخطيبة: ولك أنت أيضاً يا أبي.

والد الخطيبة: إني لا أحب أن أغضبك ... إني لك أب وأم في الوقت نفسه ... مسئوليتي نحوك جسيمة.

الخطيبة: معنى هذا أنك ...

والد الخطيبة: كنت أنتظر أن يُبلغك شيئاً مهماً.

الخطيبة: إعلان الخطبة؟! ... قال إنه سيحدثني بشأنها غداً في المطار.

والد الخطيبة: هل أنت واثقة به؟ ... هل تعرفينه جيداً؟!

الخطيبة (ناظرةً إليه في قلق): ماذا تقصد يا أبي؟!

والد الخطيبة: كل ما أرجوه أن يكون مختلفاً عن والده ... أما إذا شابه أباه ...

الخطيبة: والده كان زميلاً لك ... وما يزال ...

والد الخطيبة: ولهذا أعرفه حق المعرفة!

الخطيبة (قلقةً): لا يبدو عليك يا أبي أنك تُقدِّره.

والد الخطيبة: من واجبي أن أكون صريحاً معكِ يا ابنتي ... مسئوليتي نحوك جسيمة.

الخطيبة: إنك تخيفني!

والد الخطيبة: لا أريد أن أخيفك ... ولا أريد — مع ذلك — أن أخفي عنك ما أعرف ... وما يعرف الجميع.

الخطيبة (منزعجةً): ما يعرف الجميع؟!

والد الخطيبة: عن والده.

الخطيبة: ماذا يعرف الجميع عن والده؟

والد الخطيبة: إنه رجل مُنحلّ ... يضيع وقته بين الراقصات والممثلات ... ويجيد إخفاء ذلك عن زوجته الطيبة الساذجة ... ولكن الكل يعلم ... حياته العابثة المستهترّة ... شيء معروف.

الخطيبة: ربما كانت إشاعات ... مبالغاً فيها.

والد الخطيبة: لا دخان بغير نار!

الخطيبة: إنك أزعجتني يا أبي! ... لماذا فعلتَ هذا؟!

والد الخطيبة: هذا ما حسبتُ حسابه ... إزعاجك! ... ولكن هذا عندي أخف ضرراً من أن أتركك تجهلين الحقائق!

الخطيبة: إنه مع ذلك شاب جادّ كل الجدا، فيما يبدو لي ... بل إن ما يعجبني فيه هو اتزانه وأخلاقه ... إن له مثلاً عليا رفيعة ... إننا متفقان تماماً في كل الآراء.

والد الخطيبة: هذا لا ينفي أنه ابن ذلك الرجل!

الخطيبة: ليس من الضروري أن تكون له أخلاق والده!

والد الخطيبة: هذا ما أرجوه.

الخطيبة: بل إنني متأكدة! ... قلبي يحدثني ... نظرتي فيه صادقة ... وإحساسي ... إحساسي لن يكذب ... إنه إنسان ذو نفس صافية، وصفات رائعة.

والد الخطيبة: نظريتك يا بنتي لها اعتبارها، وإحساسك له قيمته ... ولكن هذا لا يمنع من اتخاذ الاحتياطات.

الخطيبة: الاحتياطات لماذا؟ ... لماذا كل هذا الخوف وكل هذا التشكك؟! ... إنه لم يبدُ منه ما يدعو إلى ذلك! ... لماذا تفسد الجو قبل أن يحدث شيء؟

والد الخطيبة: ليس في الاحتياط ما يفسد.

الخطيبة: بل إنه يفسد في أحيان كثيرة ... إنك تعرف مبادئك يا أبي ... لطالما قلتُ لك سأحب حماتي كما أحب أمي ... وسأدخل عليها بغير حذر كما أدخل على أمي ... إنني

أحب أمي وأحبك بغير حذر ولا احتياط ... لماذا؟ ... لأنني لا أشك في حيكما لحظة ...
لأنني لا أفترض فيكما السوء ... أما إذا افترضتُ السوء فإنني سأصرف على أساسه، وكل شيء
عندئذٍ سيسوء إذا بُني على أساس افتراض السوء!

والد الخطيبة: هناك أناس مع ذلك يجب أن نفترض فيهم السوء قبل أن نلقاهم، إذا أردنا
تجنب أذاهم!

الخطيبة: هذا هو منبع الخطأ ... أن نلقى الآخرين ونحن نخشاهم! ... لا تؤاخذني يا
أبي! ... هذه عقيدتي.

والد الخطيبة: أنت حرة بالطبع في عقائدك ومشاعرك ... وإنه ليسرني أن تنظري إلى
الناس والحياة هذه النظرة الجميلة ... ولكن موقفي أنا مختلف ... أنا مسئول عنك ... أنا
وحدي ... لم تعد لك أم تشارك في حمل المسؤولية ... أنا المسئول عن هنائك وراحتك
ومستقبلك! ... وواجبي يقضي أن أحملك من كل ما يهدد هذا الهناء وهذه الراحة وهذا
المستقبل!

الخطيبة: تحميني؟!

والد الخطيبة: نعم ... من غيري يتولى حمايتك؟!

الخطيبة (تنظر إلى صورة والدتها على الحائط): لو كانت أمي موجودة لما تخوفتُ هي
تخوفك هذا يا أبي!

والد الخطيبة: إنها كانت مثلك لا تريد أن تحتاط لشيء! ... طالما عرضت نفسها
للجوع والبرد في الشتاء، حرمت نفسها سراً لتوفر لي ولك ... أيام الضائقة المالية، عقب
شراء هذا المنزل وتجديده ... كانت سيدة عظيمة! ... ذات قلب كبير ... لو أنها احتاطت
لصحتها لما ذهبت سريعاً، وتركنا أنا وأنت نبيكها في كل حين.

الخطيبة (مطرقةً في تأثر): نعم ...

والد الخطيبة: إنك تعرفين يا ابنتي مدى الحب المقدس الذي كان يربط بيني وبين
أمك ... (يشير إلى صورتها فوق رأسه) لقد كنت أنت أدركت السن التي تفهمين فيها
ذلك ... من أجل هذا أريد لك زوجاً مخلصاً يحيطك بمثل هذا الحب الحقيقي.

الخطيبة: إنني أدرك شعورك يا أبي!

والد الخطيبة: لا تغضبي إذن إذا أبديتُ مثل هذا التحفظ أو التشكك أو التخوف.

الخطيبة: إنني لست غاضبة.

والد الخطيبة: شعور الأب هو الذي يُملي عليّ تصرفاتي، ويجعلني أفكر في الوسائل،
وأخذ الإجراءات التي تقنعني بأنك تسيرون في طريق مأمون، ولا تتعرضين لأي خداع.

الخطيبة (متوجسةً): ماذا تقصد يا أبي؟!

والد الخطيبة: أقصد أن ... موقفي طبيعي.

الخطيبة: لستُ أعترض يا أبي على موقفك ... ولكنني أخشى أن يؤثر ذلك في موقفي أنا.

والد الخطيبة: لا ... ما من أحد يطلب إليك تغيير موقفك ... سيرني في طريقك ... وعلي أنا أن أراقب ... وأتخذ الاحتياطات.

الخطيبة (في قلق): كيف؟!

والد الخطيبة: لي طرق لا شأن لك أنتِ بها ... ولا ينبغي أن تشغلي بالكِ بما أفعل ... سيرني في طريقك، واتركي لي أنا الباقي.

الخطيبة: أسير في طريقي؟! ... لقد رأيتُ الآن أنك غير مرتاح يا أبي لفكرة توديعي له في المطار! ... حقاً إنك لم تعترض صراحةً، ولكنك أيضاً لم تتحمس.

والد الخطيبة: يكفي أني لم أعترض صراحةً.

الخطيبة: سأذهب إذن.

والد الخطيبة: عليك أنتِ اتخاذ مثل هذا القرار.

(يظهر خادم يحمل بطاقة زيارة.)

الخادم (يقدم البطاقة للوالد): يقول إنه على موعد.

والد الخطيبة (يمر بنظره على البطاقة): حقاً ... إنني في انتظاره.

الخطيبة (ناهضةً): إلى اللقاء يا أبي.

(تُقبِّله وتخرج خلف الخادم ... وتمضي لحظة، ثم يظهر رجل عادي المظهر في ثياب عادية، يتقدم بأدب، ويجلس حيث أشار إليه والد الخطيبة، في مقعد أمامه بجوار المكتب.)

والد الخطيبة (للزائر): لقد دعوتك من أجل مسألة دقيقة. وقد اخترتك أنت بالذات من بين كل مخبري محافظة الشرقية؛ لأن تقاريرك تعجبني ... إنها ليست كلمات مرصوفة، بقدر ما هي وثائق وحقائق. وما أريد منك اليوم هو هذه الوثائق والحقائق.

مخبر الشرقية: إنني رهن إشارة سيدي المحافظ!

والد الخطيبة: فلندخل في الموضوع مباشرةً ... هل تعرف محافظ الغربية؟!

مخبر الشرقية: لا مع الأسف ... ليست هناك معرفة شخصية.

والد الخطيبة: ولكنك تسمع عنه طبعاً؟

مخبر الشرقية: بالطبع ... في مجال العمل.

والد الخطيبة: سمعته مشهورة ... أليس كذلك؟

مخبر الشرقية: من ناحية العمل الرسمي.

والد الخطيبة: من ناحية أخلاقه الشخصية ... حياته الخاصة ... المنحلة ...

مخبر الشرقية: هذا شيء ...

والد الخطيبة: طبعاً ... أدبك لا يسمح لك بالخوض في ذلك خصوصاً معي ... ولكن أخلاق هذا الرجل لا بد أن تكون معروفة لك وللجميع.

مخبر الشرقية: هل حدث شيء بخصوصه؟!

والد الخطيبة: لا، لم يحدث شيء بخصوصه هو ... الأمر يتعلق بابنه ... له ابن في السلوك السياسي.

مخبر الشرقية: بالطبع ابنه معروف ... يرد اسمه دائماً في الصحف والمؤتمرات.

والد الخطيبة: هذا الابن ... هل ورث أخلاق والده؟!

مخبر الشرقية: هذه مسألة ...

والد الخطيبة: هذه هي المسألة التي عليك أن تتحراها ... وما هي أخلاق هذا الابن؟ ... ما هو سيره وسلوكه؟

مخبر الشرقية: هذا بسيط!

والد الخطيبة: نعم ... هذا عمل بسيط بالنسبة إليك ... ولكن الأمر يحتاج إلى همّة وسرعة ... لأنه مسافر صباح الغد بالطائرة إلى الخارج ... وأنا في حاجة إلى نتيجة تحرياتك قبل أسبوعين.

مخبر الشرقية: سأعمل من الآن.

والد الخطيبة: نعم ... لا تضيع وقتاً.

مخبر الشرقية (ينهض): اعتمد عليّ يا سيدي المحافظ.

والد الخطيبة (ناهضاً): الموضوع سرّي جداً!

مخبر الشرقية: بالطبع.

والد الخطيبة: والاتصال بشأنه معي أنا وحدي مباشرة ... لا مع أحد غيري.

مخبر الشرقية: بالطبع ... بالطبع.

والد الخطيبة (يضافه): أرجو لك النجاح!

(يخرج مخبر الشرقية مسرعاً ... ويبقى والد الخطيبة، ويعود إلى تناول الصحيفة التي كان يطالعها.)

والد الخطيبة (وهو يجلس ليقراً الصحيفة): مثل هذا الرجل المُنحلّ يحتاج إلى مثل هذه التدابير!

(ستار)

الفصل الثاني

المنظر الأول

في المطار

(بوفيه المطار ... مخبر الغربية بغير لحيته المستعارة ولكن بشاربه الكبير، يظهر في صحبة امرأة شابة تضع على عينيها نظارة سوداء، وتمشي بخلاعة وتمضغ لبانة ... يتجهان إلى إحدى الموائد الخالية، وهو يشير لها خفيةً إلى الخارج.)

مخبر الشرقية (هامساً): هو هذا الممسك بالحقيبة الصفراء!

المرأة (ناظرةً حيث أشار لها): شاب وسيم!

مخبر الغربية: نحن الآن لسنا في وسامته ... نحن الآن أمام مهمة خطيرة! ... إنه الآن كما ترين يحدث موظف المطار، ولكنه بعد لحظة سيأتي إلى هنا ... لا بد من ذلك ... الطائرة لن تتحرك قبل نصف ساعة أو أكثر ... فإذا حضر من هذا الباب، فسأنصرف أنا من الباب الآخر وعليك أنتِ الباقي.

المرأة (وهي تطرق اللبانة): مفهوم! «أوكيه».

مخبر الغربية: من فضلك تذكري! ... هذه اللبانة يجب أن تختفي قبل أن تقتربي منه!

المرأة: تذكر أنت من فضلك ... أن هذا من شأني أنا ... لبانتني تظهر وتختفي بإرادتي!

مخبر الشرقية: بالطبع بإرادتك ... ما من أحد داخل فمك حتى يتحكم في ذلك ... كل رجائي أن تظهرني بالمظهر اللائق، وأن تدعي لسانك هو الذي يتكلم لا لبانتك!

المرأة: إنك لا تعرف شيئاً ... إن لبانتني دائماً أفصح من لساني!

مخبر الغربية: ليس مع مثل هذا الرجل! ... ليس هذا من نوع الذين تعرفينهم!

المرأة: ما هو نوعه؟ معدن ممتاز؟!

مخبر الغربية: اسمعي! ... ليس لدينا وقت نضيعه في هذا الكلام ... إنه قد يدخل في أي لحظة ... وعندئذٍ تبدئين بسرعة ... يجب أن تعرفي مهمتك جيداً.

المرأة: أعرفها جيداً ... ليست هذه أول مرة تكلفني فيها بمهمات خطيرة! ... أنت تتقاضى عنها المرتبات والمكافآت ... وأنا تضحك على عقلي بعلبة بودرة أو زجاجة عطر

... من النوع ... إياه!

مخبر الغربية: والصدّاقة؟ ... والحب؟!

المرأة: الحب؟!

مخبر الغربية: أنتِ حرة تشكّين ... ولكني أوكد لك وأقسم بشرفك ...

المرأة (ضاحكةً بابتذال): بشرفي أنا؟!

مخبر الغربية (يضع يده على فمها بسرعة): هس ... هذه الضحكة هنا؟! ... أنتِ مجنونة؟!

المرأة (تسكت فجأة): عدم المؤاخنة!

مخبر الغربية: المهم ... احصلي منه على كل ما يمكن من المعلومات بخصوص تلك الفتاة.

المرأة: نعم ... ولكن المهم أكثر من ذلك هو الطريقة التي أجعله بها يكلمني أنا الآن ... هل تعرف الطريقة؟!

مخبر الغربية: الطريقة بسيطة ... اذهبي إليه على أنك صحفية!

المرأة: صحفية؟! ... أنا؟! (تضحك ضحكتها).

مخبر الغربية: قلت لك لا تضحكي هكذا!

المرأة: عدم المؤاخنة!

مخبر الغربية: حقاً ... لا يمكن أن تكوني صحفية ... ومع ذلك فهو يهرب من الصحفيين خصوصاً قبل انعقاد المؤتمر.

المرأة: إذا بدأت أنا بالكلام فلن يتكلم هو ... ولكنني سأجعله هو الذي يكلمني أولاً.

مخبر الغربية: وكيف تستطيعين ذلك؟!

المرأة: مواهبي!

مخبر الغربية: كل شيء جائز! ... افعلي ما يحلو لك، لتحصلي منه على معلومات عن هذه الفتاة ... وسأذهب أنا من ناحيتي أوصل مراقبتي لحركاتها وسكناتها ... (ينهض) اتفقنا؟!

المرأة (ناظرةً جهة الخارج): إني ألمحه مقبلاً.

مخبر الغربية (وهو يبتعد): سأنصرف أنا ... تذكرني التعليمات!

المرأة (وهي تنهض هي الأخرى): سأبدأ العمل! ... طريقي المضمونة!

(تتجه إلى البوفيه وتطلب كوباً من الماء، وتُخرج من حقيبة يدها قرصاً من الأسبرين، ثم تنتظر حتى يدخل الخطيب، ويتخذ له مكاناً إلى إحدى الموائد، وعندئذ تتقدم وفي يدها الكوب والقرص وتجلس في المقعد المجاور له على نفس المائدة، دون أن تلتفت إلى الشاب، كأنها اختارت المقعد مصادفةً أو بغير انتباه أو لاشتغالها بصداها ... وينظر إليها الخطيب ولا يدري ما يفعل أمام المفاجأة، ولا يجد من اللائق أن يترك المكان في الحال ... أما هي فتسرع بابتلاع القرص مع جرعة من الماء، ثم تضع الكوب على المائدة متعمدةً انقلابه، فيسيل ماؤه على ثوبها، وعندئذ ينهض الخطيب بحركة آلية، محاولاً مساعدتها ... وهي تُظهر الارتياح والأسف.)

الخطيب: لا ترتاعي يا سيدتي ... لم يحدث شيء ... بلل بسيط!

المرأة: وأنت يا سيدي، ألم يُصبك شيء؟!

الخطيب: لا ... مطلقاً.

المرأة (وهي تحاول تجفيف ثوبها): أين منديلي؟ ... مع الأسف ... ليس معي.

الخطيب (وهو يُخرج منديله): انتظري لحظة ... أرجوك!

المرأة: شكراً جزيلاً يا سيدي ... لقد أزعجتك ... إنني في غاية الأسف.

الخطيب (يجفف ثوبها بمنديله): هذا شيء بسيط ... سيجفُّ بعد قليل.

المرأة (وهي تنتهز الفرصة لتدني رأسها من رأسه بدلال وهو لا يشعر): لست أدري كيف أشكرك ... إنك مثال المروءة.

(في هذه اللحظة يظهر مخبر الشرقية باحثاً بعينه، كأنه يريد شخصاً بالذات، وما إن يقع نظره على الخطيب في موقفه هذا من المرأة، حتى يسرع هذا المخبر بإخراج آلة فوتوغرافية صغيرة من جيبه ويلتقط لهما صورة في هذا الوضع الذي يلصق أحدهما بالآخر ... ثم يسرع المخبر بالاختفاء من أحد الأبواب قبل أن يشعر أحد به.)

الخطيب (يبتعد عن المرأة واضعاً منديله في جيبه): سيجفُّ بعد لحظة!

المرأة: شكراً يا سيدي! ... ما أسعد الفتاة التي ستكون زوجة لك! ... بالطبع لا بد أنك التقيت بالفتاة التي تليق بك.

الخطيب (ينظر في ساعته): عن إذنك يا سيدتي ... إنني على موعد ... (يترك لها المائدة منصرفاً.)

المرأة (محاولةً استبقاءه): أيسوءك أني حدثتك هكذا؟! ... إنني متأسفة.

الخطيب: لا ... لا داعي للأسف ... (يتحرك منصرفاً.)

المرأة (في محاولة أخرى): لحظة واحدة أرجوك!

الخطيب (وهو ينظر في ساعته): إني على موعد.

المرأة (في آخر محاولة): لن أبقىك طويلاً ... مجرد كلمة.

الخطيب (وهو يسرع بالانصراف): سأتكلم في التليفون ... اسمحي لي يا سيدتي!

(ينصرف بسرعة قبل أن ينتظر ردها).

المرأة: أف! ... نوع مُتعب.

(تُخرج اللبانة التي كانت وضعتها في الحقيبة، قبل ابتلاع القرص ... ثم تلوّكها في فمها من جديد، وتنهض منصرفاً من باب آخر وهي تطرقع بها وتهز كتفيها يأساً.)

الخطيب (يعود ومعه خطيبته): كدتُ أياس من حضورك.

الخطيبة: آسفة أني جعلتك تنتظر. لقد اعتمدتُ على هذه الساعة، ولم أفطن إلى ما بها من خلل (تشير إلى ساعة في معصمها).

الخطيب (يقودها إلى إحدى الموائد الخالية ويجلسان): أمامنا من حسن الحظ بضع دقائق نستطيع أن نمضيها معاً ... (يريد أن ينادي الجرسون) ماذا أطلب لك؟

الخطيبة: لا شيء ... أشكرك!

الخطيب: فنجان من القهوة؟ ... أو الشاي؟

الخطيبة: لا ... أرجوك ... لقد تناولت قهوتي منذ قليل.

الخطيب: أمرك!

الخطيبة: لن تتغيب أكثر من أسبوعين ... أليس كذلك؟

الخطيب: على الأكثر ... وهذا ما يهون عليّ الأمر وإلا لما سافرتُ قبل أن ننهي الموضوع! ... لقد وعدتك في التليفون أن أخبرك بحقيقة ما حصل ... كنت مُصرّاً على إعلان الخطبة قبل سفري اليوم ... ولكن يظهر أن إعلان الخطبة ليس مجرد كلمة تقال ... إنها — كما قيل لي — تقتضي حفلة وإعدادات تحتاج إلى وقت ... لهذا لم نجدُ بدأً من الانتظار إلى ما بعد عودتي.

الخطيبة: فعلاً ... كان الوقت ضيقاً قبل سفرك.

الخطيب: كم كنت أود مع ذلك أن أسافر وأنتِ خطيبتي.

الخطيبة: إني أعتبر نفسي خطيبتك.

الخطيب: بالطبع ... وأنا أيضاً ... ولكنني أقصد من الناحية الرسمية.

الخطيبة: الناحية الرسمية مهمة بالنسبة إلى الآخرين، ولكن ما أهميتها بالنسبة إليّ

وإليك؟!

الخطيب: حقاً ... ما يربطنا شيء أهم من ذلك!

الخطيبة: هذا صحيح.

الخطيب: كنت أخشى أن يضايقك هذا التأجيل.

الخطيبة: لا ... مطلقاً.

الخطيب: قولك هذا يريحني ... وإن كنت أود من جهة أخرى أن يضايقك التأجيل قليلاً كما ضايقتني.

الخطيبة: من هذه الجهة ربما! ... إن شعوري لا يمكن أن يكون مختلفاً عن شعورك في هذا الأمر، كما هو في غيره من الأمور.

الخطيب: هذا ما أرجو.

الخطيبة: كن واثقاً ... وإلاً أغضب!

الخطيب: لا ... لا تغضبي ... إني واثق!

الخطيبة: والآن ... قل لي ... مذكرتك التي ستتقدم بها إلى المؤتمر ... هل أعددتها على النحو الذي كنت ترجوه؟

الخطيب: نعم ... ولكن المهم أن يكون لها صدئ.

الخطيبة: سيكون.

الخطيب: إنك تتكلمين بلهجة المتأكد!

الخطيبة: إني متأكدة.

الخطيب: تشجيع جميل منك! ... سأذكره عندما تحين الساعة الحاسمة!

الخطيبة: ليس مجرد تشجيع ... إنه إيمان ... لماذا لا يكون لعملك صدئ؟ ... أو نتيجة؟ ... ما دمت مؤمناً به، وتعمل من أجله، وتعيش له ... وتعلم أن فيه خير البشر ... ستجد أذنًا صاغية، وستجد قلوباً متفتحة ... ثق بذلك!

الخطيب: ليست كل الآذان مثل أذنك، وكل القلوب مثل قلبك!

الخطيبة: لا أريد منك أن تشك ... عندما نشك نفقد نصف القلب الذي نريد أن نكسبه!

الخطيب: إني لا أشك ... ولكني أتمنى!

الخطيبة: وستنال ما تتمنى ... أشعر بذلك ... إني كنت أتمنى أن ألتقي بالرجل الذي يفهمني وأفهمه، وأن تكون له أم أحبها كأمي ... بهذه المناسبة ... أخبرني ماذا كان وقع موضوعنا على والدتك؟

الخطيب: تحمست غاية التحمس.

الخطيبة: ألم أقل لك؟ ... يكفي قلب واحد أن يفتح ليصل صداه إلى القلب الآخر ... حتى قبل اللقاء والتعارف ... إن هذا مهم جداً: أن نحمل الحب من أول الأمر.

الخطيب: حقاً ... إن والدتي هي التي وقفت في صفنا إلى آخر لحظة.

الخطيبة: تعني أن والدك لم يكن ...؟

الخطيب: لا ... لا أعني ذلك، ولكن أنت تعرفين الآباء، يقتصدون دائماً في إظهار تحمسهم لأي شيء.

الخطيبة: إذن لم يكن متحمساً؟

الخطيب: لا ... أرجوك ... لا أريد أن تفهمي ذلك.

الخطيبة: إنني أفهم ... إنها مسئولية الآباء ... والمسئولية في رأيهم أن يتخوفوا من كل شيء.

الخطيب: إنه لم يتخوف، ولكن ...

الخطيبة: بل تخوف ... أعرف ذلك.

الخطيب: كيف عرفت؟!

الخطيبة: كن صريحاً معي! ... أرجوك ... لا تكتم عني شيئاً!

الخطيب: نست أكتم عنك شيئاً على الإطلاق ... إن والدي لم يلفظ كلمة واحدة تدل على الاعتراض ... بل إنه وعد بتمهيد كل ما يلزم خلال أسبوعين ... إنني — لا شك — أسأت التعبير ... إنني أردت أن أقول فقط إنه كان يتدبر الأمر في هدوء ... هكذا يفهم هو واجبه، ويترك لنا نحن الاسترسال في مشاعرنا ... هذا كل ما في الأمر.

الخطيبة: أليس هناك أكثر من ذلك؟!

الخطيب: لا ... وأقسم ...

الخطيبة: لا تقسم ... إنني أصدقك ... هذا ما حدث فعلاً ... ما يحدث عادةً.

الخطيب: وعندك؟

الخطيبة: وعندي أيضاً.

الخطيب: كان والدك غير متحمس؟

الخطيبة: إنه بالضبط كما وصفت أنت موقف الذي يرى من واجبه أن يتدبر الأمر في هدوء.

الخطيب: إني أتساءل أحياناً: أمثل هذا الأمر يحتاج منهما إلى تفكير؟! ... إنهما زميلان ... ويعرف أحدهما الآخر ... ماذا كانا يفعلان إذن لو أن أحدهما كان يجهل الآخر كل الجهل؟!

الخطيبة: ربما كان ذلك أفضل!

الخطيب: ماذا؟ ... أن يجهل أحدهما الآخر؟!

الخطيبة: الجهل التام خير من المعرفة الخاطئة.

الخطيب: أسمعت شيئاً؟!

الخطيبة: بخصوص ... ؟

الخطيب: رأي أحدهما في الآخر؟

الخطيبة: لا ينبغي أن نعوّل على رأي الزملاء؛ بعضهم في بعض ... كانت لي زميلة في المدرسة تجلس إلى جوارى ... وكانت تزعم دائماً أنها أكثر الناس معرفةً لي ولأسراري ... ولكنها كانت المعرفة التي تُصوّرها لها مشاعرها نحوي ... هذه المشاعر التي تتغير من يوم إلى يوم، تبعاً لكلمة تقال من هنا ومن هنا ... ألم يحدث لك ذلك أنت أيضاً؟ ... لا بد أنه حدث لك ذلك.

الخطيب: بالطبع ... (يشرد قليلاً).

الخطيبة: ماذا بك؟ ... فيم تفكر؟

الخطيب: في مدى اعتمادي على والدي في هذا الموضوع ... هل كان من الصواب أن أتركه له كما طلب ... أو أذهب بنفسى لمقابلة والدك؟ ... قال لي والدي: «لا تتسرع! ... أنت لا تفهم والدها! ... إذا ذهبت إليه وحدك فقد يعتقد أن والدك غير موافق» ... وهذا هو سبب إذعاني له، وتركه يمهد الطريق ... هل أحسنتُ صنعاً؟ ... هل أخطأتُ؟

الخطيبة: لم تخطئ.

الخطيب: هل كان والدك حقاً سيفهم ذلك من ذهابي إليه وحدي؟

الخطيبة: لست أدري ماذا كان يفهم ... خصوصاً إنهما زميلان ... مهما يكن من أمر فإن تصرفك سليم.

الخطيب: تقولين ذلك لتُدخلي عليّ الراحة!

الخطيبة: بل إني لست أرى مطلقاً ما يدعو إلى انزعاجك!

الخطيب: إنك مريحة ... أشكرك.

(صوت المذياع يدوي).

المذيع: المسافرون إلى «جنيف» يتفضلون بالذهاب إلى الطائرة! ... المسافرون إلى «جنيف» يتفضلون ...

الخطيب (ينهض بسرعة): إني ...

الخطيبة (ناهضة): رحلة سعيدة! ... أرجو لك النجاح العظيم!

الخطيب (يلثم يدها على عجل): إني أرجو أن أضع في هذه الإصبع خاتم الزواج بعد عودتي.

الخطيبة: إلى اللقاء ... إلى اللقاء!

(يفترقان سريعاً ... ويمضي هو بحقيبته الصفراء في يده، وهي تلوح له بيدها ... في حين يدخل مخبر الشرقية ويلاحظهما قليلاً، وهما يودع أحدهما الآخر هكذا ... إلى أن يختفي الخطيب، وتصبح الخطيبة بمفردها، فيتقدم إليها المخبر ويحيي بأدب.)

مخبر الشرقية: أنتِ ربما لا تتذكريني يا أنستي؟!

الخطيبة (تتفرس في وجهه): أظن ...

مخبر الشرقية: ضابط مباحث الشرقية ... أعمل تحت رئاسة والدك سعادة المحافظ!

الخطيبة: آه ... نعم أذكر أني رأيتك في منزلنا.

مخبر الشرقية: بالضبط ... فرصة سعيدة أن ألقاك هنا ... تسمحين بلحظة؟ ... عندي شيء يهكم.

الخطيبة: يهمني أنا؟

مخبر الشرقية (وهو يشير إلى المقعد): نعم ... تفضلي استريحي!

الخطيبة (تجلس في مقعدها من المائدة، ويجلس هو بجوارها): بخصوص ...؟

مخبر الشرقية: بخصوص ساعتك!

الخطيبة (تشير إلى ساعة معصمها): ساعتى هذه؟!

مخبر الشرقية: إنها ليست ساعتك الأصلية.

الخطيبة: بالطبع ... إنها الساعة التي أعطاني إياها «الساعاتي» بدلاً من ساعتى الأصلية، التي يقول إنها سرقت.

مخبر الشرقية: وسُرقت بالفعل، وضبطنا السارق فجر اليوم، كان أحد عماله السابقين ... والساعة وجدت.

الخطيبة: وُجِدَت؟!

مخبر الشرقية: عند تفتيش مسكن السارق ... وكنت سأذهب إليك في المنزل عصر اليوم لأردّها ... ولكن من حسن الحظ أن وجدتك هنا ... (يُخرج الساعة من جيبه) أليست هي هذه؟!

الخطيبة (تتناولها فاحصة): نعم ... هي بعينها! بسوارها!

مخبر الشرقية: إذا سمحت ... رُدِّي إليّ هذه التي في يدك لأعيدها إلى «الساعاتي» ... لقد وعدته بذلك.

الخطيبة (وهي تخلعها من معصمها): نعم ... أرجعها إليه ... كانت دائماً مختلفة.

مخبر الشرقية (يراها تعالج خلعها بصعوبة): انتظري ... اسمحي لي أن أساعدك!

(يمسك بمعصمها ويخلع عنه الساعة، ويضعها في جيبه، ثم يضع الساعة الأصلية ذات السوار حول معصمها، ويأخذ في إحكام رباطها، وعندئذ يظهر مخبر الغربية بشاربه الكبير، فما إن يرى الفتاة في هذا الوضع مع الرجل، ويدها في يده، حتى يخرج آتته الفوتوغرافية خفية، ويلتقط صورة، ويختفي.)

الخطيبة (تضع الساعة على أذنها مبتهجة): حقاً ... ساعتى المضبوطة! ... ألف شكر!

مخبر الشرقية: العفو! ... بهذه المناسبة أنت هنا بالطبع في توديع ... أحد؟!

الخطيبة (باقتضاب): نعم.

مخبر الشرقية: نعم ... لمحتك معه ... منذ قليل ... إنه ... ابن محافظ الغربية ... أليس كذلك؟

الخطيبة: نعم.

مخبر الشرقية: توجد إذن بينكما ... معرفة؟

الخطيبة: نعم.

مخبر الشرقية: هل تعرفينه منذ وقت طويل؟

الخطيبة: لا.

مخبر الشرقية: إذن لا تعرفينه معرفة جيدة؟!

الخطيبة: أعرفه.

مخبر الشرقية: معرفة سطحية بدون شك.

الخطيبة: وثيقة.

مخبر الشرقية: في هذا الوقت القصير؟!

الخطيبة (في شيء من الضيق): نعم.

مخبر الشرقية: أظن عندما يعرف الإنسان أحداً في وقت قصير، فإنه لا يمكن أن يُلمَّ بكل دوائله وعلاقاته وأسرار حياته الخاصة.

الخطيبة (في تنمر): ماذا تقصد؟

مخبر الشرقية: لست أقصد شيئاً بالذات ... إنني أتكلم على وجه العموم ... عما يحدث عادةً ... دوائر الناس لا تُكتشف إلا بالمعاشرة الطويلة ... لأن الظواهر خداعة، وقد تجدين أمامك رجلاً، مظهره يدل على الطيبة والصراحة والبراءة، ولكن هذا كله ليس سوى قناع طاهر جميل يُخفي خلفه باطناً عابثاً مستهتراً ... إن الأقنعة البديعة سهلة الصنع، نسيجها بضع كلمات براءة.

الخطيبة (ناهضةً): أشكرك على ردِّ الساعة!

مخبر الشرقية: تريدين الانصراف؟

الخطيبة: حان الوقت.

مخبر الشرقية (ينهض): إذن تسمحين أن أوصلك؟

الخطيبة (تجيبه بسرعة): أعرف طريقتي ... شكراً!

(تنصرف على عجل ... وتتركه في مكانه يشيعها بنظره حتى تختفي.)

مخبر الشرقية (يهز رأسه أسفاً): يا للمسكينة المخدوعة!

(ستار)

المنظر الثاني

«في جنيف»

(أحد أروقة هيئة الأمم في جنيف ... يُسمع صدى تصفيق حاد متواصل، آتياً من قاعة اجتماع المؤتمر، ثم يتدفق الصحفيون من أبواب جانبية، وهم يتصايحون.)

الصحفي الأول (هاتفاً): انتصار!

الصحفي الثاني: السلام يفوز!

الصحفي الثالث: أخيراً! ... سيعم السلام الأرض!

الصحفي الرابع: إجماع ساحق!

(يتسابق الجميع إلى مائدة مستديرة وسط المكان، وينشرون أوراقهم ومذكراتهم، ويأخذون في كتابة سريعة ... على حين يتجه بعضهم متدافعين إلى أجهزة التليفون ... وعندئذ يظهر «الخطيب» من أحد الأبواب ... يجفف عرقه بمنديله، فيستقبله الصحفيون بالتصفيق، ثم يسرعون إلى الالتفاف حوله.)

الخطيب: شكراً ... المؤتمر لم ينته بعد.

الصحفي الأول: ولكن النتيجة ظهرت واضحة ... إنه الفوز الساحق للسلام ... وكل الدول مُجمعة، ومؤيدة لمذكرتكم.

الخطيب: نحن في انتظار مذكرتين هامتين ستُوزعان الآن.

الصحفي الثاني: من وزيرٍ خارجية المعسكرين الكبيرين؟

الخطيب: نعم.

الصحفي الثالث: فيهما تأييد تام من غير شك.

الخطيب: كلنا نرجو ذلك.

الصحفي الرابع: هذا مؤكد بعد إجماع المؤتمر.

الصحفي الأول: نريد منكم بياناً خاصاً.

الصحفي الثاني: نعم ... نريد تصريحاً نُبرق به إلى صحفنا.

الصحفي الثالث: هل كنتم تتوقعون هذا النجاح؟!

الصحفي الرابع: ما هو شعوركم؟

الخطيب: أهو مؤتمر صحفي؟! ... إني آسف ... لست مستعداً الآن للإدلاء بشيء أكثر مما في المذكرة ... لقد وزعوا عليكم المذكرة ... أليس كذلك؟

الجميع (في صوت واحد): نعم ... ولكن ...

الصحفي الأول: نريد شيئاً آخر غير الذي في المذكرة! نريد رأيكم الشخصي في سر نجاح المؤتمر؟!

الخطيب: لا يوجد سر ... الشعوب تريد ذلك ... كل الشعوب تريد السير في الطريق إلى السلام ... لا بد إذن أن تصل ... هذا طبيعي ... العكس هو غير الطبيعي ... أن تسير الشعوب في هذا الطريق ولا تصل ... لماذا؟ ... لماذا؟

الصحفي الثاني: لأن هناك دائماً عوائق وأشواكاً في الطريق إلى السلام!

الخطيب: هذا صحيح، ولكن من الذي يضعها؟! ليست الشعوب بالطبع.

الصحفي الثالث: من الذي يضعها إذن؟!

الخطيب: هذا هو السؤال؟!

الصحفي الرابع: ولماذا توضع؟

الخطيب: هذا هو السؤال الآخر!

الصحفي الأول: نجاح المؤتمر اليوم يجعل مثل هذه الأسئلة في المحل الثاني ... المهم الآن أن نعرف رأيكم في الخطوة التالية، بعد هذه الخطوة الأولى الكبرى التي خطاها الإنسان نحو أمنه وسلامه.

الخطيب: نعم إنها خطوة ... ويجب أن نسميها خطوة، وما دامت العوائق والأشواك أمامها غير موجودة فإني أعتبرها ...

الصحفي الثاني: نقطة تحوّل في تاريخ الإنسان ... أليس كذلك؟

الصحفي الثالث: مثل اكتشاف الذرة! ... والصواريخ؟!

الصحفي الرابع: والسفر إلى القمر!

الخطيب: ربما كانت أجدى!

الصحفي الأول (وهو يدوّن الملاحظة): أتظن؟!

الخطيب: وربما كانت أسهل!

الجميع (وهم يدوّنون): أسهل!

الخطيب: وكان من الواجب أن تكون هي الأسبق!

الجميع: الأسبق؟!

الخطيب: أليس من العجب أن يسير الإنسان في الفضاء نحو القمر، ولا يسير على الأرض نحو السلام؟! ... أيهما أصعب؟! ... وأيهما أدعى إلى تفكيره الأول؟!

الصحفي الثاني (وهو يدون): ما هو السبب؟!

الخطيب: إنني أكتفي الآن بالعجب ... ولا يتسع المقام هنا للبحث عن السبب!

الصحفي الثالث: ربما كان الفضاء خالياً من العوائق!

الخطيب: ربما ... ولكن الإنسان يطير أيضاً فوق الجبال! ... ما من شيء يقف في طريقه ... إذا أراد.

الصحفي الرابع: لقد أراد الآن ... وهذه الخطوة تدل على يقظة إرادته ... أليس كذلك؟

الخطيب: هذا رأيي.

الصحفي الأول (وهو يدون): رأيك إذن أن الإنسان واصل إلى السلام قبل وصوله إلى القمر؟

الخطيب: الطريق ممهد الآن.

الصحفي الثاني (وهو يكتب): زالت العوائق من الطريق؟

(تُسمع ضجة في الخارج ... ثم يظهر زميل الخطيب يحمل ورقتين).

الزميل (للخطيب): أين أنت؟ ... رأيتَ هذا؟

الخطيب: ما هذا؟

الزميل (يقدم إليه الورقتين): صورة المذكرتين!

الخطيب (يخطفها): أرني!

الزميل: فيهما القضاء على كل أمل.

الخطيب (وهو يمر بنظره سريعاً على المذكرتين): كيف ذلك؟! ... هذه محنة! ... كيف تضيع كل الجهود هكذا؟!

(الصحفيون في ذهول ووجوم لحظة ... ثم يقفون، ويسرع بعضهم بالركض خارجين من الأبواب لتقصي الخبر، والبعض يبقى ليصغي).

الزميل: كل من المعسكرين يتهم الآخر بالاستعداد لإثارة الحرب.

الخطيب: هذا مخيف!

الزميل: كل منهما يشير إلى وثائق تحت يده، وصور فوتوغرافية استطاع أن يحصل عليها، لأسلحة سرية مدمرة.

الخطيب (وهو يقلب صفحات المذكرتين): من أين جاءوا بهذه المعلومات المروعة؟

الزميل: المخابرات.

الخطيب: هذا عمل فظيع!

الزميل: قد تسمم الجو.

الخطيب: نعم ... هلمّ بنا ننظر ما سيكون داخل المؤتمر. (يتحرك بسرعة للانصراف مع زميله).

الصحفي الأول (يستوقفه): لحظة يا سيدي ... أرجوك ... قبل أن تذهب إلى قاعة المؤتمر ... أريد سؤالاً صغيراً: هل قُضي حقاً على كل أمل؟

الخطيب: نست أدري ... ولكن الموقف خطير!

الصحفي الثاني: ولكن الكل بغير استثناء كانوا يصفقون الآن لمشروع السلام؟!

الخطيب: وسيصفقون دائماً للسلام ... هذا شيء آخر!

الصحفي الأول: أهو رياء إذن؟!

الخطيب: ليس برياء ... لا ... الكل يريد السلام حقاً ... ما من أحد يرفض السلام.

الصحفي الثاني: ما معنى إذن هاتين المذكرتين؟

الخطيب: معناه أن كلاً من الطرفين قد صنع للآخر صورة مثيرة بغیضة.

الصحفي الأول: لكن لماذا؟! ... لماذا؟!

الصحفي الثاني: هل المخابرات في الجهتين هي المسئولة؟!

الخطيب: نست أدري من المسئول ... ولكن الذي أعلمه الآن هو أن أشواكاً قد ألقيت في

الطريق إلى السلام! ... (يريد أن يتحرك للانصراف).

الصحفي الأول (يستوقفه): هل يمكن إزالة هذه الأشواك؟!

الخطيب: ليس الأمر سهلاً.

الصحفي الثاني: ولكنه ممكن.

الخطيب: اسمعوا! ... ليس من طبعي التشاؤم ... ولكنني في هذه اللحظة أرى الصعوبة

واضحة كل الوضوح.

الصحفي الأول: ما وجه الصعوبة؟

الخطيب: إن الطريق إلى السلام هو في القلب! وما أصعب من إزالة شوكة من داخل

القلب؟! ... هل يمكن انتزاع حصاة من القلب دون أن يسيل دم؟!

الصحفي الثاني (وهو يدون): لا بد أن توجد طريقة.

الخطيب: نعم، لا بد من إيجاد طريقة تزيل أشواك الشك والارتياب والخوف من القلوب؛

ليحل فيها الصفاء الحقيقي.

الصحفي الأول (وهو يكتب): ولكن هذا المؤتمر كاد ينجح.

الصحفي الثاني (وهو يدون): ألا ترى الطريقة في أن يواجه أحد الطرفين الآخر مواجهة

ودية؟!

الخطيب: ربما ... ولكن الذي تبين لي الآن هو أن كلاً من الطرفين لا يرى مانعاً من أن

يصافح الآخر ويُقبله على شرط أن يطوقه بذراعيه تطويقاً عنيفاً يشل حركته ... لأنه

يخشى منه مجرد الحركة! ... وعندما تكون القبلة مع مثل هذا التطويق فإنها لا تصبح

قبلة! ... أليس كذلك؟!

الصحفي الأول (وهو يدون): ولماذا الخوف من حركة الآخر؟

الصحفي الثاني (وهو يكتب): ولماذا الشك؟!

الخطيب: هذه هي المسألة!

الصحفي الأول: أهو فرط حذر واحتياط؟!

الصحفي الثاني: هي اعتبارات أمن الدولة؟!

الخطيب: كل هذا معاً ... وأشياء أخرى كثيرة ... لها دائماً مبرراتها في نظر أصحابها ... وهنا الصعوبة ... نعم ... هنا الصعوبة التي قلت لكم عنها ... المبررات ... المبررات المعقولة هي أحياناً الأشواك التي تطعن القلب، وتُلقي الاضطراب في صفائه! ... العقل يشك، وعندما نشك نفقد نصف القلب الذي نريد أن نكسبه ... والعقل يخاف، ونحن لا ينبغي أن نلقى من نحبهم ونحن نخشاهم.

الصحفي الأول: هنا إذن منبع الأزمة؟!

الخطيب: في رأيي نعم هنا منبع الأزمة كلها ... الشعوب تحب وتسالم ... والقادة يفكرون ويدبرون ... والتفكير عندهم يؤدي إلى الحذر والريية واتخاذ التدابير ... والتدابير تورط في أخطاء، والأخطاء تفسد جو الصفاء ... وهكذا ... وهكذا ...

الصحفي الثاني (وهو يدون): هل تنوون التقدم بمذكرة جديدة؟!

الخطيب: لم تعد المذكرات ولا المؤتمرات بكافية ... الأمر أعمق من كل هذا ... يجب أن نطوي أولاً هذه الصفحة من تاريخ العلاقات الإنسانية ... هذه العلاقات التي أفسدتها تدابير معقدة لسياسة عتيقة التفكير ... ولتبدأ صفحة جديدة ... إن العلاقات الإنسانية يجب أن تبنى من جديد، على أساس جديد، بتفكير جديد، يليق بعصر جديد ... دعوني أبحث ... دعوني أبحث ... وثقوا أنني لن أياس ... أبداً!

(يأخذ ذراع زميله ويمضي معه إلى قاعة المؤتمرات، تاركين الصحفيين يواصلون تدوين ما سمعوا.)

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر الأول

عند الخطيبة

(الخطيبة أمام والدها الجالس إلى مكتبه كما ظهر في المنظر الثاني من الفصل الأول، وهي ممسكة في يدها بصورة «فوتوغرافية» وأوراق تنقل بينها نظراتها المضطربة الزائغة.)

الخطيبة: أممكن هذا؟! ... أهذا يمكن أن يحدث؟!

والد الخطيبة: ما حدث لا يدهشني أنا على الإطلاق!

الخطيبة (بصوت متشنج وهي تتأمل الصورة): شنيع! ... شنيع! ... هذا شنيع!

والد الخطيبة: حقاً ... وضعٌ شنيع ... هذه الجلسة في مكان عام مع امرأة من هذا الصنف؟ ... كان في إمكانه على الأقل أن يستتر عن العيون!

الخطيبة: وهو الذي يفعل ذلك؟ ... هو؟ ... أكاد لا أصدق عيني! ... (تبكي فجأة) لا ... ليس هو ... ليس هو ... إنه ليس هو يا أبي! ... ليس هو.

والد الخطيبة: لا تبكي يا عزيزتي! ... لا تبكي ... أرجوك!

الخطيبة: ليس هو الذي يفعل هذا ... ليس هو ... قل لي يا أبي إنه ليس هو.

والد الخطيبة: إني متأسف يا بنتي ... أن أسبب لك هذا الألم ... إنها قسوة مني ولا شك ... ولكن تذكري واجباتي ومسئولياتي نحوك وأنت وحدك، ضعيفة لا حول لك، وسط هذا العالم المملوء بالشر والغش والتزييف.

الخطيبة (تمسح دموعها وتتأمل الصورة مرة أخرى): هو الذي يفعل ذلك؟ ... ومع امرأة من هذا الطراز؟!

والد الخطيبة: أكان يجب أن أخفي عنك؟!

الخطيبة: لا.

والد الخطيبة: تأملي قليلاً ... ولكن يجب أن تعرفي حقيقة الرجل الذي كنتِ سترتبطين

الخطيبة: نعم ... يجب أن أعرف.

والد الخطيبة: لقد كانت معرفتك به سطحية وسريعة.

الخطيبة (كالمخاطبة لنفسها): ومع ذلك خيل إلي أنني عرفتة ... مثال الرجل الكامل! ... هكذا تمثلته ... خيل إلي أنه لم يعرف غيري امرأة تركزت فيها كل أحلامه وآماله ... هكذا كان يقول لي ... كان يقول لي هذا وفي حياته نساء من هذا الطراز؟!

والد الخطيبة (مشيراً إلى الصورة): لاحظت كيف هي ملتصقة به، ورأسها مائل على كتفه؟!

الخطيبة: منظر تشمئز له النفس!

والد الخطيبة: شاب مستهتر!

الخطيبة: وأنا التي حسبته فخر شبابنا المهدب!

والد الخطيبة: أما أنا فلم أنخدع ... كنت أقول في نفسي: «الولد سر أبيه» ... وأبوه أعرفه حق المعرفة ... رجل مُنحل ... له عشيقات من هذا الطراز بالذات.

الخطيبة: آه، تذكرت الآن قول ضابط المباحث.

والد الخطيبة: ضابط المباحث؟! ... هل قابلك؟!

الخطيبة: نعم في المطار.

والد الخطيبة: ماذا قال لك؟

الخطيبة: تقدّم إلي ليبرد ساعتى ذات السوار التي سُرقت ... ألم أخبرك بذلك يا أبي؟!

والد الخطيبة: نعم ... نعم ... أخبرتني بهذا ... ولكن هل حدثك بخصوص ذلك الرجل؟

الخطيبة: لمّح لي ... مجرد تلميحات.

والد الخطيبة: تلميحات؟!

الخطيبة: لم أستسغها منه وقتئذ! ... كان — لا شك — يعرف عنه أشياء! ... أهو الذي التقط هذه الصورة، وكتب هذا التقرير؟

والد الخطيبة: نعم.

الخطيبة: وأنت يا أبي الذي كلفته؟

والد الخطيبة: نعم أنا.

الخطيبة: أنت؟ ... أنت إذن الذي ...؟

والد الخطيبة (في قلق): الذي ... ماذا؟!

الخطيبة: لا شيء ... واجبك ...

والد الخطيبة: بالطبع واجبي أن أسهر عليك، وأتحرى حقيقة من يطلب يدك؛ حتى لا تقعي فريسة الغش والخداع.

الخطيبة (وهي تُقلّب الأوراق): الخداع! ... حقاً! ... كان يخادعني إذن ... بكلامه وتصرفاته ومثاليته.

والد الخطيبة: وأخيراً انكشفت الحقيقة!

الخطيبة: نعم ... حقيقة فظيعة ... هذا فظيع ... أن ينهار فجأة كل أملنا في شخص كنا نعتزُّ به ونعقد عليه الآمال ... (تبكي) شخص كان في نظري كبيراً عظيماً ... رائعاً! ... إن هذا مؤلم ... مؤلم.

والد الخطيبة: بنتي! ... هدئي من روعك! ... إنني أعترف معك أنه مؤلم ... ولكن لا تسترسلني في تعذيب نفسك ... هذا أمر يجب أن نجد له علاجاً ... والعلاج بسيط: النسيان التام ... انسي كل شيء ... انسيه! ... اطرحيه من فكري!

الخطيبة: أنسى؟! ... أنسى؟! ... أهذا بالأمر السهل؟ ... هذا فظيع ... مؤلم ... لماذا فعلتَ بي هذا؟ ... لماذا فعلتَ هذا يا أبي؟!

والد الخطيبة: أنا؟!

الخطيبة (تشهق بالدموع): ما كان يجب أن أعرف هذا ... إنه حقاً قد تحطم في قلبي ... هذا التمثال الرائع ... ولكن قلبي أيضاً قد تحطم معه!

والد الخطيبة: إنني ... آسف!

الخطيبة: فات الأوان يا أبي ... فات الأوان.

والد الخطيبة: ماذا كان عليّ أن أفعل يا بنتي؟! ... هل كنت أخفي عنك هذه الوثائق، وألمح لك أنا أيضاً مجرد تلميحات؟! ... إنك ما كنت تُصدقين أو تهتمين ... ماذا كان في وسعي أن أفعل ... وأنا وحدي الآن المسئول عنك؟ ... ليت أمك كانت معنا ... (يشير إلى صورتها فوق الحائط) تلك الأم الفاضلة ... كانت تصرفت بحكمتها ونبلاها وقلبها الكريم الطاهر ... ولكني وحدي ... ماذا أفعل؟! ... تكلمي! ... أرجوك ... ماذا كان يجب عليّ أن أفعل؟!

الخطيبة: لا أدري ... لا أدري.

والد الخطيبة: لو كنت أعلم أنني بذلك سأحطم قلبك؟! ... ومع ذلك كيف كنت أتصرف؟! ... أخدمك أنت أيضاً؟ ... هل يوجد والد يجروء على هذا؟! ... أخبريني برّبك يا بنتي؟ ... كيف كنت أتصرف؟!

الخطيبة: لا أعرف ... لا أعرف ... لا تسألني أرجوك.

والد الخطيبة (باشفاق): إني مُقدِّرُ آلامك ... ولكن ...

الخطيبة (ترفع رأسها فجأة): ومن أدراك أن مُخبرك هذا صادق؟! ... كيف تريد مني أن أصدق أوراقه وترهاته وصوره؟! ... لماذا لا يكون كل هذا تلفيقاً في تلفيق؟!

والد الخطيبة: تلفيق؟! ... لأي غرض؟!

الخطيبة: ليرضيك!

والد الخطيبة: ليرضيني أنا؟! ... وما مصلحتي؟ ... ألي مصلحة غير إسعادك؟!

الخطيبة: إنك من أول الأمر تتحفظ وتتوهم أشياء.

والد الخطيبة: من واجبي الحذر.

الخطيبة: واجبك ... واجبك ... واجبك!

والد الخطيبة: بالطبع ... مسئوليتي عنك جسيمة ... ومع ذلك — يا بنتي — إذا كنت أنت مقتنعة بأن كل هذا لا نصيب له من الصحة، وأنه كذب وتلفيق، فما عليك إلا أن تمزقي كل هذه الأوراق، وتعتبري هذه التحريات والمعلومات كأن لم تكن.

الخطيبة (ساخرة في توجع): كأن لم تكن!

والد الخطيبة: نعم ... لك أن تفعل ذلك.

الخطيبة: أهذا ممكن الآن؟!

والد الخطيبة: ولم لا؟!

الخطيبة: بعد أن ألقيتم في نفسي بذور الشك!

والد الخطيبة: نحن ما ألقينا غير مجرد معلومات، لك أن تقبلها ... أو ترفضها ... لست أرغمك على شيء ... أنت وحدك صاحبة الرأي النهائي.

الخطيبة: الرأي النهائي؟! ... في ماذا؟

والد الخطيبة: في موضوع هذا الخطيب ... إذا كان في نظرك بريئاً ... فأنت حرة في استئناف العلاقة ... و...

الخطيبة (بمرارة): استئناف العلاقة؟!

والد الخطيبة: هذا من حقك ... لا مانع عندي ... إذا اقتنعت ببراءته.

الخطيبة: بريء؟! هو؟!

والد الخطيبة: إذا رأيت أنت ذلك!

الخطيبة: هو ... بريء؟! ... وهذه الصورة المٌخزية؟! ... وهذه المرأة الفاجرة؟! ... وهذا الرأس المائل ... والشعر المتهتك المتهدل على كتفه! ... كتف ... كتف ... كتف هذا الرجل المخادع ... المنافق ... كل هذا قد انطبع في ذاكرتي ... كيف أمحوه؟ ... كيف أمحوه؟ ... كيف أمحوه؟

والد الخطيبة: لا تضربي رأسك هكذا ... أرجوك!

الخطيبة: ليتني أستطيع أن أحطم رأسي مع تلك الصورة البشعة.

والد الخطيبة: عندي فكرة! ... هل لك في أن نسافر معاً إلى مكان ما؛ لتغيير الجو ... آخذ إجازة أسبوعين ... أعتقد أن هذا يريح أعصابك ... ما رأيك؟

الخطيبة (في إطراق): أسبوعين؟!

والد الخطيبة: نعم.

الخطيبة (كالمخاطبة لنفسها): قال لي: بعد أسبوعين أعود لأضع في إصبعك خاتم الزواج! ... وسيعود ... ولكن ... ولكن ... (تبكي).

والد الخطيبة: عدت إلى البكاء! ... أرجوك يا بنتي ... اعقلي! ... ما فائدة دموعك وحزنك الآن ... إنك تنالين من أعصابك بغير موجب ... لو كانت الدموع تعالج الموقف لقلت لك استرسي ... ولكن هذا الموقف المعقد لا يعالج بالدموع ... بل بالقرار الحاسم ... إما النسيان، وإما الإذعان ... اختاري لنفسك أحد أمرين: إما أن تنسيه، وإما أن تدعني له.

الخطيبة: أذعن؟! ... أرضى بهذا الوضع؟! ... مستحيل!

والد الخطيبة: بالطبع ... كرامتك لا ترضى!

الخطيبة: مؤكداً.

والد الخطيبة: حقاً ... إذا كان هذا يحدث منه اليوم، فما بالك بالغد؟! ... إنه سيعبر مهزلة أبيه المُنحل ... سيتخذ له العشيقات الخليعات من وراء ظهره ... ويكون شأنك شأن أمه الساذجة التي لا تعلم شيئاً مما يجري حولها.

الخطيبة: مستحيل!

والد الخطيبة: مثلكِ بالتأكيد لا يقبل هذا الوضع.

الخطيبة: أنا؟ ... مستحيل ... مستحيل!

والد الخطيبة: إذن انسيه!

الخطيبة: نعم.

والد الخطيبة: ليس في هذا صعوبة كبرى.

الخطيبة: لا.

والد الخطيبة: من كان له إرادتك فكل شيء سهل.

الخطيبة: نعم.

والد الخطيبة: ما عليك إلا أن تُرددي: إما النسيان وإما الاستسلام ... وما دام الاستسلام مستحيلاً، فالنسيان ضروري، وما دام هو ضرورياً فلا بد أن يكون ممكناً ... رددى ذلك!

الخطيبة: نعم.

والد الخطيبة: قولي إنه ممكن.

الخطيبة: ممكن.

والد الخطيبة: اجعلي هذا شعاراً: ممكن ... ممكن ... وأنت تستطيعين.

الخطيبة (تردد بغير وعي): ممكن ... ممكن ... ممكن ... (ثم تنفجر باكيةً).

(ستار)

المنظر الثاني

عند الخطيب

(والد الخطيب والأم مجتمعان في نفس القاعة، كما كانا في المنظر الأول من الفصل الأول، وهما يرقبان الباب بأنظارهما كمن يتوقع ظهور أحد.)

الأم (لزوجها): أفتاحه في الأمر الآن، وهو واصل لتوّه من السفر؟!

والد الخطيب: يجب ...

الأم: ألا تنتظر حتى الغد؟! ... حتى ينام ليلة مستريحاً ... إنه متعب، كما رأينا من وجهه.

والد الخطيب: بل الآن ... قبل أن يتصل بها.

الأم: أخشى وقّع الخبر على نفسه.

والد الخطيب: مهما يكن، فهذا خير من أن نكتم عنه مثل هذه المعلومات الخطيرة!

الأم: ألا توجد طريقة أخرى؟!

والد الخطيب: طريقة أخرى؟! ... مثل ماذا؟

الأم: نتركه إلى أن ...

والد الخطيب: إلى أن يكتشف بنفسه؟!

الأم: مثلاً.

والد الخطيب: هذا جنون! ... إلى أن يكتشف بنفسه يكون قد فات الأوان، ووقع المحذور ... وعندئذٍ يصبح إنقاذه من المحال.

الأم: وهل تظن أنه سيُصدق؟!

والد الخطيب: عندنا الأدلة والوثائق.

الأم: إن هذا سيُحدث في قلبه جرحاً بالغاً!

والد الخطيب: هذا صحيح، ولكن ...

الأم: يحسُن أن نتمهل قليلاً.

والد الخطيب: أي تمهل أو إبطاء ستكون له عواقب وخيمة ... إنه — كما قلت لك — سيتصل بها ولا شك في أقرب فرصة ... هذا أمر طبيعي ... بعد عودته من السفر أول شيء يفعله هو أن يتصل بها ... تليفونياً على الأقل ... وإذا استأنف هذه العلاقة فإن العمل بعد ذلك على قطعها سيكون أشق وأصعب.

الأم: الأمر في الحالتين شاق وصعب.

والد الخطيب: حقاً ... ولكن ماذا نستطيع أن نفعّل؟! ... نحن لا بد لنا أن نتخذ قراراً إزاء هذا الأمر ... هذا واجبنا ... والمبادرة أخف ضرراً.

الأم: وكيف نُبلّغه هذا الأمر؟

والد الخطيب: هنا حقاً الصعوبة ... من أولاً الذي يبلغه ذلك؟

الأم: أنت بالطبع.

والد الخطيب: ولم لا تكونين أنت؟

الأم: أنا؟!

والد الخطيب: ربما كنت أنتِ أقدر وأنسب.

الأم: أنا؟! ... أنا أتلقى ابني بسكين أضعه في قلبه؟!

والد الخطيب: سكين؟!

الأم: طبعاً ... ماذا تظن إذن؟ ... خبر كهذا بالنسبة إليه هو سكين يُطعن به في صميم القلب!

والد الخطيب: وأنا الذي عليه — إذن — أن يطعنه؟!

الأم: هذا شأنك ... أما أنا فلا تعتمد عليّ في هذا ... مستحيل ... مستحيل أن أفعل هذا بابني؟!

والد الخطيب: تفضلين أن نتركه لهذه الفتاة تطعنه هي في شرفه؟!

الأم: لا ... لا أفضل هذا ... ولكن ...

والد الخطيب: ولكن ماذا؟! ... لا يوجد حل وسط ... إما أن نتركه لهذه الفتاة، وإما أن نكشف له عن حقيقتها ... ماذا تفضلين؟ ... نطعنه نحن في قلبه؟ ... أو تطعنه هي في شرفه؟! ... تكلمي! ... ماذا تفضلين؟

الأم (تحاول الهرب): لا أدري! ... أخرجني أنا من هذا الموضوع.

والد الخطيب (يمسك بها): تعالي ... لا تهربي!

الأم: أخرجني أنا من هذا الموضوع ... أرجوك!

والد الخطيب: أخرجك؟! ... تريدان أن تبقي على الحياد؟! ... لا يا سيدتي العزيزة!

الأم: أرجوك ... دعني أنا بعيدة.

والد الخطيب: لا ... لن أدعك بعيدة ... لن أدعك تستريحين آمنة ... بينما أنا أصطلي وحدي بنار المشكلة!

الأم: أنت الذي خلقت هذه المشكلة ... وتريد الآن أن تُدخلني فيها ... ما كان يجب من أول الأمر أن نعارض رغباته أو نتدخل في شئونه ... إن ابننا ليس صغيراً ولا قاصراً ... إنه رجل ... رجل مرموق ناضج العقل ... كان واجباً من مبدأ الأمر أن نحترم رغباته، ونتركه حراً يدبر شئونه بنفسه، ويحل مشكلاته بنفسه.

والد الخطيب: ليجلب على نفسه وعلينا الدمار ... ويُعْرِضنا للفضيحة!

الأم: إنك تفكر في نفسك؟!

والد الخطيب: لا يا سيدتي العزيزة ... لا ينبغي لك أن تقولي مثل هذا الكلام الآن، بعد أن ثبت بالدليل أنني كنت على حق في كل مخاوفي!

الأم: أنت واثق بهذه الأدلة؟!

والد الخطيب: ماذا تقولين؟ ... ألم أقرأ عليك تقرير المباحث؟ وأضع تلك الصورة الفوتوغرافية تحت عينيك؟!

الأم (متنهدةً): من كان يظن هذه الفتاة بهذا السلوك؟! ... وأنا التي كدت أفتح لها قلبي حتى قبل أن أراها!

والد الخطيب: احمدي ربك أنكِ عرفتِ حقيقتها في الوقت المناسب!

الأم (تلتفت إلى الباب وتهمس): ابنا قادم!

يظهر الخطيب في رداء منزل «روب دي شامبر» وهو يفرك يديه مبتهجاً، وعليه علامات النشاط والانشراح.)

الخطيب: هذا الحمام الساخن بعد السفر متعة كبرى! ... لقد أزال كل التعب ... في طرفة عين!

الأم (تتحرك سريعاً): سأحضر لك فنجاناً من الشاي!

الخطيب: حقاً ... هذا وقته! ... شكراً يا أمي!

والد الخطيب: أتذهبين أنت ... الآن ... وتتركيننا؟! ... الآن تذهبين هكذا؟!

الأم: سأعدُّ له الشاي بنفسي!

والد الخطيب: إنك بارعة! ... حقاً هذا وقته؟

الخطيب: إنها حقاً بارعة في إعداد الشاي!

والد الخطيب (وهو ينظر إلى الأم نظرة ذات مغزى): وفي غير ذلك! ... اذهبي يا سيدتي العزيزة! ... تصرف معقول وانصراف مقبول في وقته المناسب! أهنتك!

الأم (وهي تنظر إلى والد الخطيب): لن تطول غيبتني! (تخرج.)

والد الخطيب (وهو مرتاب): أرجو ذلك.

الخطيب: والآن ... هل كل شيء على ما يرام؟

والد الخطيب (متجاهلاً): من جهة ...؟!

الخطيب: موضوعنا بالطبع!

والد الخطيب: أي موضوع؟!

الخطيب: مسألة الخطبة.

والد الخطيب: أه! حقاً ... حقاً ... حقاً ...

الخطيب: وصلتتم في الإعداد والترتيبات إلى أي حد؟

والد الخطيب: وصلنا إلى ... أظن يحسنُّ انتظار والدتك؛ فإن لديها معلومات مهمة!

الخطيب: معلومات مهمة؟ ... عن ماذا؟

والد الخطيب: عن الفتاة و...

الخطيب (بابتهاج): هل هي قابلتها؟ ... هل رأتها؟

والد الخطيب (في حَرَج): سَلِّها هي ... والدتك ... عندما تأتي الآن بالشيء! ...
ستجيبك عن كل شيء ... والآن فلنتحدث عن مهمتك في الخارج، يبدو أنك أُصبت بخيبة
أمل، هذا ما فهمناه من الصحف!

الخطيب (شارد الفكر): هذا صحيح.

والد الخطيب: ماذا بك؟

الخطيب: لا شيء ... كنت أنتظر أن تستقبلني الآن بقولك: «تم كل شيء في خلال
الأسبوعين، كما وعدت، ولا ينقص إلا خاتم الخطبة» ... ولكن وجهك يا أبي الآن غامض
الأسارير!

والد الخطيب: وجهي غامض؟

الخطيب: ماذا حدث بالضبط؟!

والد الخطيب: ألا يحسن انتظار والدتك؟! ... إن غيابها لن تطول ... ألم تقل ذلك
أمامك؟

الخطيب: هذا كل ما في الأمر إذن؟ ... تريد أن نتحدث في الموضوع بحضورها.

والد الخطيب: أليس هذا أنسب؟! ... لماذا نتكلم في غيابها؟!

الخطيب: حقاً ... حقاً، هذا أنسب! ... خصوصاً وقد أعددتُ مفاجأة، ستسرها هي بالذات
... بيني وبينك يا أبي ... خاتم الخطبة جئت به معي ... اشتريته من سويسرا!

والد الخطيب (يطرق): جميل!

الخطيب: أليس كذلك؟ ... ألم أحسن صنعاً؟!

والد الخطيب: انتظر والدتك ... قل كل هذا لوالدتك.

الخطيب: بالطبع ... وهذا سيسرها.

والد الخطيب (مطرقاً): حقاً.

الخطيب (ناظراً إلى والده بقلق): ماذا بك يا أبي؟!

والد الخطيب: أنا؟! ... لا ... لا شيء! ... أخبرني ... إنك لم تخبرني عن مهمتك في
«جنيف»!

الخطيب: قد كدرتك أخبارها فيما أرى ... نعم ... خاب أمني إلى حد كبير! ... ماذا
تفعل إذا كانت الشعوب في وادٍ والقادة في وادٍ آخر؟! ... الشعوب تريد الحياة ببساطة! ...
والقادة يريدون تعقيد الحياة.

والد الخطيب (بغير تتبع): لماذا؟!

الخطيب: لأنهم يستخدمون ما يسمونه العقل أكثر من اللازم ... والعقل كالساعة، يجب أن يكون مضبوطاً تماماً ... وإلا اختل في تقدير الأمور ... إن الساعة المختلة تُفسد الزمن ... أما العقل المختل فيصبح قبلة زمنية، تنفجر في شيء، في وقت ما.

والد الخطيب (وهو شارد): هذا فظيع!

الخطيب: نعم ... هذا فظيع بالفعل! ... أن تعيش الشعوب بقلوب سليمة، والقادة بعقول مختلة!

والد الخطيب: حقاً.

الخطيب: هنا مصدر كل المتاعب!

والد الخطيب: نعم.

(الأم تظهر حاملةً فنجاناً واحداً من الشاي، وتتقدم به إلى ابنها.)

والد الخطيب: شاي خفيف بدون لبن، وقطعة واحدة من السكر كالعادة ... أليس كذلك؟

الخطيب (وهو يتناول الفنجان من يدها): بالضبط ... أشكرك!

الأم (ناظرة إلى الوالد): هل تغيبت طويلاً؟!

والد الخطيب: كنا على كل حال في انتظارك!

الأم (مأخوذةً): في انتظاري؟!

والد الخطيب: بالطبع، لا يمكن أن نفتح الحديث في شيء هام قبل حضورك.

الأم: ألم يفتح الحديث إذن؟!

والد الخطيب: بدون وجودك؟ ... مستحيل!

الأم: وفيم كان كلامكما الآن؟

والد الخطيب (مبتسماً لها بخبث): في السياسة!

الأم (تكظم غيظها): السياسة؟!

والد الخطيب: ألم أحسن صنعاً؟

الأم (في غيظ ولهجة ذات مغزى): حقيقةً أهنتك!

والد الخطيب: والآن اجلسي واشتركي.

الأم: أشترك؟!

والد الخطيب: بل افتحي أنتِ الموضوع!

الأم (في اضطراب): أي موضوع؟!

والد الخطيب: أي موضوع؟! ... عجباً لك! ... موضوع الفتاة.

الأم: أنا؟!

والد الخطيب: طبعاً أنت ... ومن غيرك؟! ... اسمع يا ابني! ... والدتك أمامك ... استعلم منها عن كل شيء ... أما أنا فاسمحوا لي ... (يريد أن ينهض للانصراف).

الأم (تمسك به): نسمح لك؟! ... شيء لطيف!

والد الخطيب: لدي أعمال مصلحية هامة.

الأم: أهم عندك من موضوع ابننا؟!

والد الخطيب: بالطبع لا ... ولكن ما دمت أنت هنا ... فأنت أهم مني ... ولذلك أترك لك كل المهمة؛ تتصرفين بحكمتك التي لا شك فيها.

الأم: أهذا كلام؟ ... أهذا يصح؟! ... يعجبك هذا يا ابني؟! ... يعجبك أن ينصرف أبوك هكذا ... في الوقت الذي يُفتح فيه الموضوع الذي يهتمك؟!

الخطيب (لوالده): ألا تستطيع يا أبي أن تجلس معنا خمس دقائق أخرى؟

والد الخطيب (ينظر في ساعته): ولكن ...

الأم (تُجلس زوجها بقوة): اجلس ... اجلس أرجوك، عيب!

والد الخطيب: جلستُ ... تكلمي!

الأم: بل الذي يتكلم هو أنت.

والد الخطيب: بل أنت.

الأم: الواجب أنك أنت الذي يبدأ.

والد الخطيب: بل السيدات أولاً!

الأم: ليس في كل الأمور ... هناك أشياء ينبغي للرجال أن يحملوها عن النساء الضعيفات.

الخطيب (في قلق): عجباً! ... إنكما تتكلمان كما لو كان هذا الموضوع عبئاً ثقيلاً يحاول كل منكما أن يلقيه على كاهل الآخر!

الأم (متشجعة): بالصراحة يا ابني ... هذه هي الحقيقة!

الخطيب: ماذا تقولين يا أمي؟!

الأم: هناك أخبار سيئة خاصة بهذا الموضوع!

الخطيب: أخبار سيئة؟!

الأم: الفتاة التي اخترتها ... يظهر أنها ليست ...

الخطيب: ليست ماذا؟

الأم (مترددة): ليست لائقة.

الخطيب: لا أفهم ... ماذا تقصدين؟

الأم: أرجوك يا ابني ... لا تغضب ... إنني مقدرة وقع مثل هذا الكلام على نفسك ... ولذلك وجدت المهمة عسيرة على نفسي ... أن أتولى أنا مفاتحتك في ذلك ... ولكن ... كما رأيت ... كان لا بد لأحدنا أن يخبرك ... وقد شاء والدك أن أخبرك أنا ... وقد فعلت ... وكل أمني أن تملك أعصابك، وتلقى كل شيء بهدوء.

الخطيب: ليست لائقة؟! ... ما معنى هذا؟!

الأم: إنها ... على كل حال ... ليست صالحة.

الخطيب: ليست صالحة؟! ... من أي وجهة؟!

الأم: سيرها وسلوكها!

الخطيب (ثائراً): ماذا أسمع؟!

الأم: هديء روعك يا ابني ... أرجوك ... ثق أنه يؤسفني أن أقول هذا الكلام ... خصوصاً عنها ... هي التي كاد قلبي يتفتح لها ... أؤكد لك.

الخطيب (منفعلاً): سيرها وسلوكها؟! ... من قال ذلك؟ ... من جرؤ على اتهامها هذه التهمة؟! ... من هذا الذي قال عنها ذلك؟! ... أخبروني من جاءكم بهذا الكلام؟ ... من أين جاءكم هذا الذي تقولون؟

الأم: أرجوك ... اهدأ! ... اهدأ قليلاً!

الخطيب: أخبريني أولاً من قال لكم ذلك؟

الأم (مرتبكة): قال لنا ذلك!

الخطيب: يجب أن أعرف أولاً ... من أين جاءكم هذا؟

الأم: من أين جاءنا؟

الخطيب (في ثورة): نعم ... من أين جاءكم هذا الذي تقولون؟ ... تكلمي! ... أرجوك ... تكلمي يا أمي ... لا بد أن أعرف من أين جاءكم هذا الكلام؟

الأم (مرتبكة ومترددة): التقارير ...

الخطيب: التقارير؟! ... أي تقارير؟!!

الأم (لزوجها صائحة): أجب أنت! ... قل شيئاً ... لا تنظر إلينا هكذا كالمتفرج! ... أخبره ما هي هذه التقارير ... إني لن أتكلم بعد الآن ... لقد تكلمت ما فيه الكفاية!

الخطيب (لوالده): ما هي هذه التقارير؟!

والد الخطيب (يتنحج مرتبكاً): «المباحث»!

الخطيب: «المباحث»؟

والد الخطيب (ناهضاً): نعم ... وأظن الأفضل ... اختصاراً للأمر ... أن أضع بين يديك كل ما ورد إلينا من أوراق ووثائق في هذا الموضوع ... لتطلع عليها بنفسك.

الأم: أتطلع على هذه الأشياء الآن؟!

الخطيب: نعم ... أريد أن أطلع على كل شيء الآن.

والد الخطيب: هذا من رأيي أنا أيضاً ... (يتجه إلى منضدة ويخرج ظرفاً من درجها يناوله لابنه) كل شيء تجده هنا في هذا الظرف!

الخطيب (يفتح الظرف ويخرج منه أوراقاً وصورة فوتوغرافية يتأملها): ما هذا؟ ... صورتها؟! مع من؟ ... من هذا الرجل؟

والد الخطيب: لم تذكر التقارير من هو هذا الرجل؟ ... إنه رجل وكفى بينه وبينها علاقة، كما ترى في الصورة، يضع في معصمها سواراً أو ساعة ذات سوار.

الخطيب (متأملاً الصورة): نعم.

والد الخطيب: وعندما تقرأ على مهل التعليقات الواردة في التقارير، تجدها تذكر أنها كانت جالسة في محل عام في وضع شائن مستهتر مع هذا الرجل، وهذا لا يستغرب منها؛ لما هو معروف عن أمها، من أنها ماتت بسبب سوء سيرها وسلوكها.

الخطيب (شارد اللب والصورة في يده): نعم ...

والد الخطيب: هذه هي كل الحقيقة ... ونحمد الله أننا قد اكتشفناها في الوقت المناسب!

الخطيب (ناظراً إليها في الصورة): أمثلها يفعل ذلك؟! ... أهذا معقول؟!

والد الخطيب: هناك حقائق تبدو غير معقولة، ولكن هذا لا يمنع من حدوثها بالفعل!

الخطيب (ناظراً إلى الصورة): أهي من هذا النوع؟

والد الخطيب: إنها بنت أمها!

الخطيب: ما من لفظة نابية تفوهت بها ... ما من حركة طائشة أو خارجة ... كانت مثال الطهارة والنبيل ... حتى ساعة الوداع في المطار، كنت أنتظر اندفاعاً، تدعو إليه حرارة الموقف ... ولكنها ودعت بأدب ... واتزان.

والد الخطيب: خداع!

الخطيب: وحديثها، وكلماتها، وتفكيرها، واتفاقها معي في مشروعاتي ... أكل هذا كان خداعاً؟!

والد الخطيب: ولمَ لا؟ ... هناك نوع من النساء يجيد التمثيل إلى درجة لا يمكن تصديقها!

الخطيب (وهو يتأمل الصورة): لا ... لا أصدق ... لا أستطيع أن أصدق!

والد الخطيب: معذور! ... إني أعذرك! ... هناك أشياء لا نصدقها بسهولة ... خصوصاً عندما يكون الخداع متقناً ... وليست هذه أول مرة يتزوج فيها رجل من امرأة، ليجدها في اليوم التالي امرأة أخرى!

الأم: من تقصد بهذا الكلام؟!

والد الخطيب: لست أنتِ على كل حال ... إني معترف أنك ما حاولتِ قط خداعي!

الأم: هل لاحظت يوماً أن ظاهري غير باطني؟!

والد الخطيب: لا ... مطلقاً ... ومن أجل هذا حرصت على أن يتزوج ابنتنا امرأة في مثل خُلقك ... باطنها مطابق لظاهرها ... لا تعرف خداعاً، ولا تحاول تمثيلاً.

الأم: أنا أيضاً أتمنى ذلك لابنتنا.

الخطيب (ينقل بصره بين الصورة والتقارير): ومنَ الذي التقط هذه الصورة، وحرر هذه التقارير؟

والد الخطيب: قلت لك «المباحث».

الخطيب: مباحث المحافظة؟

والد الخطيب: نعم.

الخطيب: ومن الذي كلّف «المباحث» بهذا؟!

والد الخطيب: أنا طبعاً.

الخطيب: أنت يا أبي؟! ... أمرت المخبرين بمثل هذا العمل؟

والد الخطيب: بالطبع ... هم الذين من شأنهم عمل التحريات.

الخطيب: وهل هذا عمل مألوف؟ أن يخطب شخص فتاة فيرسل في أثرها المخبرين؛ يتعقبون خطواتها ويلتقطون لها الصور، ويحررون التقارير؟

والد الخطيب: وما المانع؟

الخطيب: هل فعلت ذلك مع أمي قبل أن تتزوجها؟!

الأم: يفعل ذلك معي؟! هذا هو الذي كان ينقص؟!

الخطيب: إذن هو عمل غير لائق.

والد الخطيب: لم أفعل ذلك مع أمك؛ لأنني لم أكن أشك فيها، ولكن عندما نشك، فإن هذا العمل يصبح مطلوباً.

الخطيب: وما الذي جعلك تشك في الخطيبة التي ...

والد الخطيب: التي اخترتها أنت؟ ... إنها بنت رجل أعرفه حق المعرفة ... وأعرف ما يقال عنه وعن زوجته ... بيئة عائلية مشتبه فيها ... وهذا معروف للجميع.

الخطيب: لم أعرف ذلك أنا.

والد الخطيب: أنت لست الجميع ... ومع ذلك ...

الخطيب: ومع ذلك ماذا!

والد الخطيب (يشير بيده إلى الصورة والتقارير): ومع ذلك؛ هذا الاشتباه كان في محله أو في غير محله؟! ... ألم يتضح بجلاء أن شكوكنا ومخاوفنا كان لها أساس ... وأن ما اتخذناه من احتياطات وتدابير جاء بنتيجة؟

الخطيب: وأخيراً؟!

والد الخطيب: هذا كل ما في الموضوع!

الخطيب (بعد لحظة صمت وإطراق): وماذا تنتظر مني الآن أن أفعل؟!

والد الخطيب: الأمر متروك لك ... ما علينا نحن فعلناه ... وعليك أنت أن تقر.

الخطيب (يضع الظرف بمحتوياته فوق المنضدة): شكراً!

والد الخطيب: هذه الأوراق لك ... خذها لتقرأها على مهل!

الخطيب (يتحرك للانصراف): يكفي الآن ما اطلعتُ عليه!

الأم: أتذهب؟!

الخطيب: إلى حجرتي ... عندي عمل آخر ... أهم!

الأم: ابني! ... لا تكدر نفسك ... أرجوك!

الخطيب: لم يعدّ هناك ما يدعو إلى الكدر ... الموضوع انتهى!
(يخرج ويترك والديه يشيعانه بنظراتهما القلقة عليه، الحزينة له.)

الفصل الرابع

المنظر الأول

في المطار

(«بوفيه» المطار كما ظهر في المنظر الأول من الفصل الثاني ... الخطيب جالس مع زميله، إلى مائدة من الموائد ... والزميل يقلب النظر في أوراق وصورة فوتوغرافية، لا يلبث أن يردّها إلى غلاف، يعيده إلى الخطيب.)

الزميل: أشكر لك ثقتك أيها الصديق ... إذ تُطلعني على هذه الأشياء.

الخطيب: أشياء سخيفة ... ما كنت أحب أن أشغل بها فكرك ووقتك، لولا حاجتي إلى رأيك.

الزميل: إني في خدمتك دائماً كما تعلم.

الخطيب: لو كنت في مكاني هذا فماذا كنت تفعل؟!

الزميل (متردداً): أنا؟!

الخطيب: بالطبع ... أنت لا يمكن أن تضع نفسك في مثل مكاني هذا ... أنت — كما تبين لي الآن — كنت أبعد مني نظراً! ... وما كنت لتتقدم بمثل هذا التسرع على مثل هذا الموضوع الخطير ... كان لا بد لك من وقت تبحث فيه — بمنتهى الدقة — عن الزوجة الصالحة!

الزميل: لا ... لا تبالغ! ... ما حدث لك يمكن أن يحدث لي ... ولكل شخص آخر ... المسألة ليست مسألة وقت ولا حذر ولا دقة في البحث ... مهما نفع فلا يمكن أن نعرف عن الآخرين إلا القدر الذي يسمحون هم بإظهاره لنا.

الخطيب: هل يمكن أن يكون هناك مثل هذا الخلاف الجسيم بين الظاهر والباطن؟!

الزميل: لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال ... أنت وحدك الذي رأيت الظاهر.

الخطيب: ظاهرها كان عجباً في ارتفاعه ونبله ومثاليته!

الزميل: إنه أمر محير!

الخطيب: حقاً ... أمر محير ... وإني لأقرأ ما يجول في رأسك الساعة ... إنك تحمد ربك — ولا شك — الذي جنبك هذه الويلات! ... وربما أمعنت في العزوبة بعد تجربتي أنا هذه! ... أليس كذلك؟!

الزميل: لست أنكر أن ... التجربة غير مشجعة!

الخطيب: وأنا الذي وضع أمله في هذا الزواج؟! ... أتذكر ما كنت أعدّه للمستقبل من مشروعات؟!

الزميل: أبراج الحمام؟!

الخطيب: نعم ... لست أدري لماذا يضر منا هذا الحمام هارباً ... سواء في «جنيف» أو هنا؟!

الزميل: الجو غير ملائم له!

الخطيب: حقاً ... جو خائق ... في كل مكان ... بدخان الغش والخداع!

الزميل: إنك مع ذلك لم تياس ... وهذه فضيلتك! ... إن سفرك اليوم إلى «جنيف» مرة أخرى، يدل على أنك تنوي مواصلة الجهاد.

الخطيب: آه! ... شتان بين سفري المرة السابقة، وسفري هذه المرة!

الزميل: أرى ذلك على وجهك!

الخطيب (ينظر في ساعته): الوقت يمر ... وأنت لم تجبني عن سؤالي: ماذا كنت تصنع لو كنت في مكاني؟!

الزميل: ماذا أصنع؟! ... من أي وجهة؟!

الخطيب: هذه الأشياء التي أطلعتك عليها الآن ... ماذا كنت تصنع بعدها؟! ... كيف كنت تتصرف؟! ... تمزقها وتمزق الماضي وتساfer بعيداً؟!

الزميل: هذا فيما أرى هو الذي تفعله أنت الآن.

الخطيب: نعم ... إني مسافر الآن ... ولكن ...

الزميل: ولكن ...؟

الخطيب: لا أريد أن أمزق هذه الأشياء!

الزميل: تريد أن تحتفظ بها؟!

الخطيب: لا.

الزميل: لن تمزقها ولن تحتفظ بها ... ماذا ستفعل بها إذن؟!

الخطيب: سأردّها إلى صاحبة الشأن.

الزميل: هي؟!!

الخطيب: نعم ... إليها هي ... أيدّهشك هذا؟! ... يجب أن تعلم هي لماذا أهجرها؟! ... هذا من حقها ... من حقها أن تعرف ... أليس هذا هو التصرف الواجب؟!!

الزميل: أعتقد ...

الخطيب: لست أطيق أن أكتّم في صدري غضباً على الغير ... يجب أن أعلنه وأصارحه بالأسباب ... من رأيي أن هذا حق للأخرين ... لمن نحقد عليه ... أن يعرفوا لماذا نفعل هذا ... لأنه عندما نعلن أسباب الأحقاد، وتكون وجهية وعلى أساس، فإن هذا قد يريح النفس إلى حد كبير!

الزميل: تريد إذن أن ترسل إليها هذه ... الأوراق؟!!

الخطيب: بل أطلّعها عليها بنفسي!

الزميل: بنفسك؟!!

الخطيب: نعم ... سأطلّعها بنفسي على كل هذه الوثائق ... لأرى وجهها كيف يتغير، وكيف يتلون ... ولن أقول لها كلمة ... ولن تجرؤ هي على التلفظ بحرف ... فهي ستشعر في الحال بما ينبغي أن يكون بيننا بعد الآن.

الزميل: وستقابلها ... أين؟!!

الخطيب: هنا ... بعثت إليها بخطاب قصير غامض ... ليس فيه ما ينمُّ على شيء ... مجرد دعوة إلى اللقاء هنا قبل سفري المفاجئ ... لقد تحاشيت الاتصال بها بالتليفون؛ حتى لا يخونني صوتي.

الزميل: إذن هي آتية إلى هنا الآن؟!!

الخطيب: هذا إذا قبلت الحضور ... أما إذا أدركت أنني اكتشفت حقيقتها ... فقد ترفض هذه المواجهة.

الزميل (محاوئاً النهوض): أودّعك إذن الآن وأستأذن.

الخطيب (يُجلّسه): انتظر حتى ترى هل تأتي أو لا تأتي ... (ينظر في ساعته) أمامنا بضع دقائق.

الزميل: إذا رأيتها مقبلةً فأخبرني.

الخطيب: لك هذا ... بالطبع لن أقدمك إليها؛ لأن هذا لم يعد له محل ... كم كنت أود ذلك يا صديقي! ... أن أقول لك: هذه هي خطيبتى التي عثرت عليها بالمصادفة السعيدة! ... (يضحك بمرارة) المصادفة السعيدة! ... إنها لخرافة ... تلك التي نسميها

مصادفة! ... لا بد من البحث الطويل؟! ... إن اللؤلؤة لا تطفو على السطح! ... لا بد من الغوص!

الزميل: نعم، ولكن ليس كل غوص يأتي بالصدفة المطوية على اللؤلؤة!

الخطيب (ملتفتاً إلى الباب): إنها لم تأتِ ... هذه الصدفة الفارغة!

الزميل (ناهضاً): لعلها في الطريق.

الخطيب (ينظر في ساعته): إذا لم تأتِ بعد دقيقة، فما أحسبها آتية.

الزميل: لا أرى ما يدعوها إلى التخلُّف.

الخطيب: تعتقد إذن أنت أنها ستأتي؟!!

الزميل: أعتقد.

الخطيب: أما أنا فقد بدأت أرى العكس ... إن لدى المرأة غريزة عجيبة تُشعرها مقدماً بما ينتظرها ... غريزة أشبه «بالرادار»!

الزميل: مهما يكن من قوة هذا «الرادار» النسائي، فإنه لا يمكن أن يدلها على ما تحمله معك من صور وأوراق! ... وقد يُشعرها فقط بشيء من الانقباض أو الخوف الغامض ... وهذا الشعور أدعى إلى إسراعها بالمجيء.

الخطيب (ناظراً إلى ساعته): إنها لم تسرع ... والوقت أزف.

الزميل: فلننتظر لحظة أخرى!

الخطيب: يبدو أنك تشجعني الآن على فكرة ... مواجهتها!

الزميل: إنك أقنعتني! ... لا ينبغي حقاً أن نحمل أحقادنا في صدورنا كما نحمل صندوقاً مختوماً يحوي جراثيم! ... يجب أن نفتحها ونعرضه لضوء الشمس!

الخطيب (ملتفتاً نحو الباب): ها هي ذي ... ها هي ذي قد أقبلت.

الزميل (ينهض بسرعة مودّعاً): أرجو لك سفراً موفقاً وعوداً حميداً!

الخطيب (ضاغطاً على يده): شكراً لك أيها الصديق! ... إلى اللقاء!

(ينصرف الزميل سريعاً ... وتظهر الخطيبة وهي تبحث بعينيها بين الموائد، إلى أن تهتدي إلى الخطيب.)

الخطيبة (تقف مترددة أمام المائدة، ثم تجلس بتحفظ وجفاء على طرف المقعد): لن أجلس طويلاً! ... أرجو أن تخبرني بسرعة لماذا دعوتني ... لقد ترددت في المجيء ... ولكنني رأيت أخيراً أن أحضر؛ لسبب ستعرفه الآن.

الخطيب (ينظر إليها دهشاً من لهجتها): يظهر أنك اكتشفت الأمر ... بالطبع لا يمكن أن يخفى على مثل ذكائك وبراعتك.

الخطيبة: بالطبع اكتشفت الأمر ... ليس لذكائي ولا لبراعتي دخلٌ في ذلك ... ولكنني عرفت كل شيء، وهذا هو المهم.

الخطيب: وعلى الرغم من هذا جئت، وقبلت المواجهة؟!

الخطيبة: نعم؛ لأنني لا أريد أن أكتم شيئاً ... هذه المواجهة تؤلمني ... ولكن لا بد أن أقول لك بنفسى ما اكتشفت ... هذا ما عولت عليه بعد تفكير ... أن أواجهك بالحقائق.

الخطيب (متعجباً): تواجهيني بالحقائق؟! ... أنت؟!

الخطيبة: نعم أنا ... سأقول لك في وجهك ...

الخطيب: في وجهي؟! ... هكذا؟! ... دون خجل ولا حياء؟!

الخطيبة: لست أنا التي يجب عليها أن تخجل!

الخطيب: هذا حقاً عجيب! ... هذا آخر ما كنت أتصور؟!

الخطيبة: بالطبع ... لا يمكن أن تتصور أنني سأحضر لأقول لك إنني قد عرفت كل شيء.

الخطيب: يا لها من جرأة! ... أن تعرفني وتأتي لتقول لي ذلك!

الخطيبة: نعم جرأة ... أن أستطيع بعد كل هذا النظر في وجهك ... وأن تقع عيني على عينك!

الخطيب (بسخرية مريرة): فتيات اليوم! ... لم يعد شيء يدهشني!

الخطيبة: لا ... ليست كل فتاة تتصرف هكذا! ... كثيرات غيري كن يفضلن الهرب والصمت والقطيعة النهائية دون إبداء أسباب ... أما المواجهة بعد أمر كهذا، فلا يجرؤ عليها حقاً غير من كن مثلي ينطوين على شيء من سماحة النفس.

الخطيب: سماحة النفس؟! ... أنت؟!

الخطيبة: نعم أنا ... ولا أظنك مهما تكن سريرتك، تستطيع أن تنكر ما أتصف به من خُلق.

الخطيب (في ضحكة مُغتصبة): خُلق؟!!

الخطيبة: نعم خُلق ... وخُلق لم يكن ليناسبك أنت ... ولم تكن لتقدره حق قدره.

الخطيب: كفى تمثيلاً يا سيدتي ... لم يعد هذا بنافع ... بعد أن انكشف كل شيء!

الخطيبة: معك حق كفى تمثيلاً! ... لا جدوى من هذا فعلاً ... الآن، بعد أن ظهرت الحقيقة كُن على طبيعتك ... هذا أفضل!

الخطيب: إني على طبيعتي دائماً!

الخطيبة: مع غيري، ربما!

الخطيب: مع كل الناس ... ومعك أنتِ على الأخص.

الخطيبة: لا يا سيدي ... معي أنا كنتُ بوجه آخر ... إلى أن ظهرت أخيراً حقيقتك.

الخطيب: حقيقتي؟! ... أنا؟!!

الخطيبة: نعم حقيقتك أنت؟ ... لماذا تنظر إليّ هكذا بدهشة؟! ... كما لو كنتَ طفلاً بريئاً ... تريد أن ترى حقيقتك بعينيك؟! ... إنها معي ... تستطيع أن تراها إذا شئت ... ومن واجبي أن أطلعك عليها ... (تفتح حقيبة يدها وتُخرج منها صورة فوتوغرافية) تفضل! ... انظر! ... أليست هذه هي حقيقتك؟!!

الخطيب (يتناول الصورة من يدها ويتأملها): ما هذا؟!!

الخطيبة: طبيعتك الحقيقية! ... هل افتريتُ عليك؟!!

الخطيب (متأملاً الصورة): مَنْ هذه المرأة؟!!

الخطيبة: تسألني أنا؟!!

الخطيب (يتأمل الصورة ملياً): شيء عجيب! ... يا له من وضع!

الخطيبة (ساخرة): في غاية الجد والوقار!

الخطيب: كيف جرؤتُ على هذا ... مثل هذه المرأة؟ وَمَنْ هي أولاً؟! ... وأين حدث هذا؟!!

الخطيبة: في مكان عام كما ترى! ... حول مائدة أمام كل الناس ... بلا خجل ولا حياء!

الخطيب (ونظره في الصورة): حقاً بلا خجل ولا حياء! ... هذه امرأة ساقطة ولا شك!

الخطيبة: أنت الأعلم بها! ... ما دمتَ قد سمحتَ لها بأن تميل برأسها هكذا على كتفك ... العلاقة بينكما — ولا شك — وثيقة!

الخطيب: أنا سمحتُ لها؟!!

الخطيبة: هي التي سمحتَ لنفسها ... هذا لا يغير شيئاً من الوضع ... لأنها تعرفك بالطبع، وتعرف أن هذا يسرُّك ويرضيك ... أن تتودد إليك بهذا الدلال!

الخطيب: دلال؟!!

الخطيبة: كفى تمثيلاً! ... لا حاجة بنا الآن إلى المخادعة ... كل شيء قد انكشف ... فلنواجه كل شيء بصراحة!

الخطيب (صائحاً): بصراحة؟ ... لا أعرف هذه المرأة!

الخطيبة: وما تعليقك لما في هذه الصورة؟!

الخطيب: لا أدري!

الخطيبة: أيعقل أن تجلس إلى امرأة بهذا الوضع على مائدة في مكان عام ولا تعرفها؟!

الخطيب (يحدّق في الصورة فاحصاً): انتظري! ... انتظري! ... تذكرت ... نعم ... نعم ... حدث هذا هنا ... على هذه المائدة التي بجوارنا ... انظري نفس الكراسي!

الخطيبة: هنا في المطار؟! ... أحسنتَ باعترافك هذا ... تكلم!

الخطيب: نعم ... هنا في المطار ... يوم سفري في المرة السابقة.

الخطيبة: يوم كنتُ في توديعك؟!

الخطيب: نعم ... نعم!

الخطيبة: تفعل هذا في نفس اليوم؟!

الخطيب (وهو مستغرق في تأمل الصورة): نعم.

الخطيبة: قابلتُنا معاً ... في نفس اليوم؟!

الخطيب (وهو يستجمع ذاكرته): نعم.

الخطيبة: ومتى قابلتها؟ ... قبلي أنا بالطبع! ... لأنني أنا كنت آخر من ودّعك!

الخطيب (متذكراً): نعم ... كان ذلك قبل أن تأتي أنت!

الخطيبة (بسخرية مُرة): جاءت لتوديعك هي الأخرى ... واجب!

الخطيب (يفطن بسرعة): من هي؟!

الخطيبة: هذه المرأة ... هذه الصديقة الوفية!

الخطيب: جاءت لتوديعي؟! ... ما هذا الكلام الفارغ؟ إنني لا أعرفها! ... هذه امرأة لا أعرفها ولا تعرفني، جاءت فجأة، لتجلس على المقعد المجاور لي ... أه نعم ... تذكرتُ التفاصيل ... جاءت وفي يدها كوب ماء وقرص «أسبرين» ... وجلست هنا على نفس مائدتي دون أن ألتفت إليها ... وفجأة انقلب الكوب، وسال الماء على ثوبها ... وبحركة تلقائية وجدتُ نفسي أسارع إلى مساعدتها ... هذا كل ما حدث.

الخطيبة: كنت أنتظر من مثلك أن يؤلف حكاية أحسن حبكةً واتساقاً!

الخطيب: إنني لا أوّلف حكاية ... إنني أروي ما حدث بالضبط!

الخطيبة: امرأة في يدها قرص «أسبرين» وكوب ماء ... ومع ذلك تجد المزاج الرائق الذي يجعلها تميل بدلال على كتفك بشعرها المتهدل ... أرجوك انظر إلى الصورة جيداً مرة أخرى!

الخطيب (يتأمل الصورة): حقاً هذا ما يحيرني! ... كيف فعلت ذلك هذه المرأة؟ ... ومتى فعلت ذلك؟ ... متى؟!

الخطيبة: لم تشعر أنت بشيء؟!

الخطيب: مطلقاً.

الخطيبة: كنت في غيبوبة ولا شك ... من النشوة!

الخطيب (صائحاً): ما هذا الذي تقولين؟! ... إني أمنعك من هذا الكلام ... من هذه الألفاظ؟! ... بأي حق تتفوهين بهذا ... أنت ...؟

الخطيبة: هذا صحيح ... لم يعد لي هذا الحق! ... بعد أن عرفتُ حقيقتك!

الخطيب: وحقيقتك أنت؟! ... لماذا لا تتحدثين عنها؟! كيف استطعت أن تخرسيني أنا عن الكلام في موضوعك ... وتشغليني هكذا بتفاهة كهذه لا أصل لها؟! ... ولكنها براعتك! ... أين لي أنا مثل هذه البراعة! ... فلنتحدث الآن فيما اجتمعنا من أجله ... لم يبق وقت نضيعه في شيء آخر.

الخطيبة (ناهضةً): حقاً ... لم يبق هناك شيء آخر ... لقد أطلعتك على ما كان يجب أن أطلعك عليه ... وانتهت المهمة التي من أجلها حضرتُ ... والآن قد انتهى كل شيء بيننا!

الخطيب (يُجلسها بشدة): كفى تمويهاً! ... طريقة السبق في الهجوم هذه، لا تدوم طويلاً ... إنها لعبة مكشوفة ... لن تمنعني من كشف خداعك!

الخطيبة: خداعي؟! ... أنا؟!

الخطيب: نعم خداعك أنت ... الحقيقي! ... تفضلي! (يُخرج من الغلاف الذي معه الصورة الفوتوغرافية) تفضلي، أنظري!

الخطيبة (تُلقي نظرة سريعة على الصورة): ماذا في هذه الصورة؟!

الخطيب: ألا ترين فيها ما يستحق التعليق؟!

الخطيبة: مطلقاً!

الخطيب: هذا الرجل الذي يضع في معصمك سواراً ... هذا العاشق المدلّه الذي تمدين إليه ذراعك هكذا!

الخطيبة (ساخرةً): عاشق؟!

الخطيب: ومن يفعل هذا غير عاشق ... أو أحد العشاق أو خطيب آخر من خلف ظهري على أحسن الفروض؟!

الخطيبة: كنت أحسبك أذكى من ذلك!

الخطيب: تنكرين؟! ... تنكرين الحقائق الواضحة كالشمس بهذه البساطة؟! ... ماذا تسمين إذن الرجل الذي يهدي إليك سواراً ... ويضعه في معصمك ... وأنت فتاة لم تتزوجي بعد؟ ... وأين يفعل هذا؟ ... في مكان عام!

الخطيبة: نعم ... وفي هذا المطار بالذات ... انظر الكراسي!

الخطيب (ينظر في الصورة): بالضبط ... اعترفت أخيراً!

الخطيبة: اعترفت بماذا؟!

الخطيب: بوجودك في هذا المطار مع رجل يهدي إليك سواراً.

الخطيبة: إنه لا يهدي إليّ سواراً ... هذا سوارى أنا.

الخطيب: سوارك أنت؟!

الخطيبة: نعم ... ساعتى ذات السوار ... كانت مسروقة ... وجاء هذا الرجل ليردّها إليّ ... تريد أن تعرف من هو هذا الرجل؟! ... إذن فاعلم أنه ضابط مباحث الشرقية!

الخطيب: هذا الرجل؟!

الخطيبة: نعم ... كان هنا في المطار يوم سفرك بالذات ... وبعد أن ودّعتك، أقبل نحوي ليردّ إليّ سوارى ... وساعدني على وضعه في معصمي ... هذا كل ما في الموضوع ... معقول؟

الخطيب: معقول ... ولكن ليس كل معقول بحقيقي ... اسمحي لي أن أشك!

الخطيبة: المسألة بسيطة ... الرجل موجود ... تريد أن تراه؟!

الخطيب: ضابط المباحث؟!

الخطيبة: نعم موجود ... تحت طلبك، في أي وقت تشاء، وتستطيع أن تقارن بينه وبين الرجل الذي في الصورة، وتطابق بينهما ... تحقيق كل هذا سهل ميسور ... أليس كذلك؟!

الخطيب: ربما!

الخطيبة: ولكن المرأة التي كنت معها، هل أستطيع التحقق من أمرها؟!

الخطيب: قلت لك لا أعرفها.

الخطيبة: رأيته؟! ... حالتك ليست مثل حالتى ... حالتى أنا واضحة ... والتحقق من صحتها في يدك ... لأنى أنا قلت لك الصدق ... صدقاً لا التواء فيه ... أما أنت ...

الخطيب: إني لا أعرف هذه المرأة ... أوكد لك ... ولا أعرف أين تكون؟ ... ولا كيف أجدها؟!

الخطيبة: وكيف تريد مني إذن أن أقتنع بحكايتك؟!

الخطيب: ثقّتْ بي تكفي ... أرجو أن تثقي بي!

الخطيبة: وهل وثقتَ بي أنت؟! ... ألم تقل لي منذ لحظة: اسمحي لي أن أشك؟! ... لماذا لا تسمح لي أن أشك ... أنا أيضاً؟!

الخطيب: إني أعذرُك! ... ولكن ... كيف أجده المرأة؟... كيف أتيح لك تحقيق هذا الأمر والتثبت من صحة كلامي! ... اسمعي! ... أخبريني! كيف حصلتِ أنتِ على هذه الصورة؟ ... ومن الذي التقطها؟!

الخطيبة: وما شأنك بهذا؟!

الخطيب: قد نستطيع من هذا الطريق أن نصل إلى شيء ... أخبريني من التقط هذه الصورة؟!

الخطيبة: «المباحث».

الخطيب: أي «مباحث»؟!

الخطيبة: مباحث الشرقية.

الخطيب: التابعة لوالدك؟!

الخطيبة: نعم.

الخطيب: والدك هو الآخر قد استخدم المخبرين؟!

الخطيبة: هو الآخر؟! ... ماذا تعني؟ ... تعني أن ...

الخطيب: نعم ... صورتك هي أيضاً قد التُقِطتْ بنفس الطريقة!

الخطيبة: مباحث والدك؟!

الخطيب (مطرقاً): نعم.

الخطيبة: عجيب! ... كيف استطاع هذان الوالدان أن يفكرا نفس التفكير؟!

الخطيب: الزمالة!

الخطيبة: نعم ... كل هذا قد اتضح الآن ... نعم ... فهمتُ الآن كيف دبراً الأمور.

الخطيب: دبراًها مع الأسف على نحو عقْد كل شيء ... وأسأءاً إلى علاقتنا.

الخطيبة (تفكّر لحظة): حقاً ... ولكن ... يوجد مع ذلك شيء غامض.

الخطيب: ما هو؟!

الخطيبة: تلك المرأة! ... إنها لم تزل نغزاً ... إني أريد أن أصدقك! ... ثقُ بذلك ... ليس أحب إلى نفسي الآن من أن تكون صادقاً ... هذا ما أتمناه! ... وربما استطعت التحامل على نفسي؛ لأرغمها على تصديقك ... ولكن ... لن يخلو الأمر من بقاء ذرة من شك تظل عالقة في أعماق قلبي ... هذا ما أخشاه!

الخطيب: وأنا لا أرضى بذرة من شك تبقى عالقة في قلبك! ... يجب أن أثبت لك صدقي إثباتاً كاملاً دامغاً ... يجب ... يجب ...

(صوت المذياع يدوي في المكان.)

المذياع: المسافرون إلى «جنيف» يفضلون بالتوجه إلى الطائرة.

الخطيبة (ناهضةً بسرعة): طائرتك ...!

الخطيب: لن أسافر ... سأبقى ... وسأثبت لك.

الخطيبة: وأنا كذلك ... سأثبت لك!

(ستار)

المنظر الثاني

عند الخطيبة

(قاعة المكتب كما ظهرت من قبل ... ولكن أحد أبوابها قد فُتح على صالون ... والأنوار ساطعة، وباقات الزهر في كل مكان ... ووالد الخطيبة في وسط القاعة يفكر ... ولا تلبث الخطيبة أن تظهر مبهتجة في أتم زينة.)

الخطيبة (تشير إلى ثوبها مزهوة): ما رأيك يا أبي في ثوبي هذا؟!

والد الخطيبة (يلتفت إليها متأملاً): بديع ... بديع جداً!

الخطيبة: إني سعيدة!

والد الخطيبة: وأنا كذلك.

الخطيبة: حقاً يا أبي؟ ... حقاً؟ ... هل تقول هذا لمجرد إرضائي؟! ... أو لأنك قد اقتنعت أخيراً؟!

والد الخطيبة: ما دمت أنت مقتنعة ... فهذا هو المهم!

الخطيبة: إنه بريء يا أبي ... لقد ظلمناه!

والد الخطيبة: لم نظلمه نحن!

الخطيبة: مباحثك يا أبي! تصور أنه مكث أسبوعاً لا ينام الليل، يتحرى ويحقق في موضوع الصورة والمرأة ... وأخيراً يتضح أنها صديقة للمُخبر ... دسها عليه لتحصل منه على أخبار خطبتنا!

والد الخطيبة: ليس مُخبرنا نحن على كل حال!

الخطيبة: هذا صحيح ... مخبر والده هو.

والد الخطيبة: الحمد لله! ... نعم ... نحمد الله أنه مخبر والده هو ... حتى مخبر والده يلجأ إلى امرأة من هذا الصنف! ... ليس ذنبنا إذن إذا كان الابن نفسه قد وقع في حبال والده ومخبره!

الخطيبة: أرجو ألا يكون في نفسك شيء نحوه!

والد الخطيبة: نحو الابن؟ ... لا ... ثقي بذلك.

الخطيبة: إني مؤمنة الآن كل الإيمان بنقاء نفسه ونبل خلقه ... تصور يا أبي أنه أشركني في كل خطوة من خطوات تحقيقه، والألم يحز في قلبه كلما أخفق في إقناعي ... إلى أن اجتمع بمخبرهم؛ لبيح له عن تلك المرأة ... وما إن دلّه عليها، حتى أسرع يطلبني والفرح يكاد يثب من صدره ويقول: وجدناها، وجدناها! ... تعالي حالاً لنحقق معاً.

والد الخطيبة: إني مقتنع.

الخطيبة: تصور يا أبي أنه هو لم يطالبني بإثبات ... أنا من تلقاء نفسي التي جمعت بينه وبين مخبرنا؛ ليتأكد له أنه هو عين الرجل الموجود في الصورة!

والد الخطيبة: لقد سبق أن أخبرتني يا بنتي بكل هذا ... لم يعد عندي شك في أنه شاب مهذب ... ثقي بذلك! ... إنه قطعاً لا علاقة له بخلق أبيه ... هذا يحدث كثيراً ... أأنا يشابه الابن أباه.

الخطيبة: ومع ذلك فإن أباه قد قبل الحضور معه الليلة، بصحبة والدته.

والد الخطيبة (ساخراً): قبل؟! ... إنه لشرف عظيم قبوله هذا!

الخطيبة: عفواً يا أبي! ... لم أقصد هذا ... إنما قصدت أن حضوره إعلان الخطبة هنا الليلة، معناه أنه لا يحمل لك سوى مشاعر طيبة.

والد الخطيبة: كيف عرفت؟!

الخطيبة: ليس هناك ما يدعو إلى افتراض العكس!

والد الخطيبة: حضوره هنا الليلة معناه أن ابنه قد ضغط عليه ضغطاً شديداً؛ ليحمله على القيام بهذا الواجب.

الخطيبة: هذا أمر لا ندريه بعد.

والد الخطيبة: مهما يكن من أمر ... فإن المهم عندي الآن هو سعادتك أنت.

الخطيبة (في ابتهاج): نعم ... إني حقاً سعيدة!

والد الخطيبة: وأنا أيضاً سعيد ... دعيني أقبلك! ... سعادتك هي التي كنت دائماً أتمناها.

الخطيبة (ناظرة إلى صورة والدتها بالحائط): والتي كانت تتمناها هي أيضاً ولا شك.

والد الخطيبة (يقبّلها في جبينها): نعم ... وسأقبلك بالنيابة عنها ... هذه القبلة منها أولاً ... ثم هذه مني أنا.

الخطيبة: شكراً ... لكما!

(جرس الباب يرن.)

الخطيبة (في فرح): حضروا ... سأذهب لاستقبالهم!

(تخرج راكضة، على حين يقف والدها بترفع مصطنع، في انتظار القادمين ... ولا تمضي لحظة حتى تقترب أصواتهم، وتظهر الخطيبة آخذة بذراع الأم، وخلفهما الخطيب والدة.)

الخطيبة (تتقدم نحو أبيها): هذه هي أمي ... منذ الآن ... وإني لسعيدة بها!

والد الخطيبة (يحيي الأم مرحباً): وأنا بالطبع سعيد ... يا سيدتي!

والد الخطيب (يحيي بطرف يده): أما نحن فلا لزوم للتعارف ... أليس كذلك؟!

والد الخطيبة (وهو يحيي بفتور): أظن ذلك!

الخطيبة (تقدّم خطيبها): وهذا خطيبي ... أليس هذا من حسن حظي.

والد الخطيبة (يصافحه مرحباً): بالتأكيد.

الخطيب (وهو يصافحه): بل إن هذا من حسن حظي أنا.

الأم: إنه حسن حظ لنا جميعاً ... ولي أنا على الأخص ... (للخطيبة) لقد أحببتك يا بنتي قبل أن أراكِ وإسألني خطيبك ... مجرد وصفه لأخلاقك فتح قلبي لكِ.

الخطيبة: وأنا أيضاً تفتح قلبي لكِ قبل أن أراكِ.

الخطيب (باسماً): هذا الحب المتبادل بينكما سيطنغي على نصيبي!

الخطيبة (ضاحكة): لا تخف! ... نصيبك محفوظ!

الخطيب (لخطيبته): تسمحين لي بكلمة على انفراد؟!

الخطيبة: بكل سرور! ... (للباقيين) عن إذنكم!

(ينصرف الخطيبان إلى الصالون المجاور).

والد الخطيبة (للأم): كنت أود أن تكون زوجتي موجودة لترحب بك هنا يا سيدتي! ...
(يشير إلى الصورة على الحائط) إني واثق أنها كانت ستسر بمعرفتكم!

الأم: وأنا كذلك ... كان يسرني أن أعرفها ... (تأمل الصورة) يبدو من صورتها أنها كانت ذات فضل ونبيل ... حقاً... حقاً... هذه صورة سيدة طيبة فاضلة ... (لزوجها) انظر!
... لا يمكن أن تكون مثل هذه ...

والد الخطيب (مقاطعاً زوجته): نعم ... نعم ... هيا بنا فلنسرع! ... لدي أعمال هامة ...
لقد تركت أعمالتي، وحضرت الليلة هنا قياماً بالواجب.

والد الخطيبة: أعرف ذلك.

والد الخطيب: ولهذا أرجو ألا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً.

الأم: لماذا الإسراع؟! ... هل يبدو عليهم أنهم ضاقوا بنا؟!!

والد الخطيبة: بالعكس! ... سرورنا عظيم بوجودك هنا يا سيدتي.

والد الخطيب: ووجودي؟!!

والد الخطيبة (بفتور): ووجودك!

والد الخطيب: ومع ذلك فنحن لم نتقابل منذ ...

والد الخطيبة: منذ أعوام طويلة.

والد الخطيب: هذا لا يمنع من أنني أسمع بأخبارك.

والد الخطيبة: أنا أيضاً تبلغني أخبارك!

والد الخطيب: مهما يكن من أمور؛ فالمهم هو سعادة أولادنا.

والد الخطيبة: فعلاً ... هذا هو المهم.

الأم (تلتفت إلى الصالون): إنهما متحابان ومتفاهمان، كأن أحدهما خُلق للآخر ...
والصفاء يعم قلوبهما النقيين.

والد الخطيب: الفضل لابننا ... إنه عاقل ومرتزن.

والد الخطيبة: ولابنتي أيضاً ... إنها لا تقل عقلاً ولا اتزاناً.

الأم: بالطبع ولابنتك أيضاً يا سيدي! ... بل إني الآن بعد أن عرفتتها أستطيع أن أقول
إنها أعقل وأنبل وأجمل مما توقعت.

والد الخطيبة: شكراً يا سيدتي.

والد الخطيب: وما بعد تبادل الشكر والثناء هذا؟!

الأم: هل هناك ما يمنع الآن من أن يعم الصفاء جميع القلوب؟!

والد الخطيب: أي قلوب تعنين؟!

(الخطيبة تظهر على باب الصالون).

الخطيبة (مناديةً): أمي! ... تعالي لحظة واحدة أرجوك! ... سنريك شيئاً! ... يجب أن تكوني أنتِ حاضرةً معنا.

الأم (تتجه إليها): شكراً يا بنتي!

(الخطيبة تأخذ بذراع الأم، وتختفيان في الصالون ... على حين يبقى في المكان والدا الخطيبين وحدهما، وقد وقف كل منهما في موضعه جامداً صامتاً، وكأنه لا يجد كلاماً يقوله ... وقد بلغ التبرم والضيق منهما مبلغاً ظاهراً في حركاتهما.)

والد الخطيب (ينظر في ساعته ثم يضعها على أذنه فاحصاً): أرجو ألا يطول كل ذلك.

والد الخطيبة: أرجو.

والد الخطيب (بعد لحظة صمت يُخرج منديله ويروّح وجهه): أف!

والد الخطيبة (يمسك بصحيفة ويروّح هو الآخر في صمت): حقاً.

والد الخطيب: الجو خانق هنا.

والد الخطيبة: الآن ... نعم.

والد الخطيب: نعم.

والد الخطيبة: لم يكن حاراً منذ قليل.

والد الخطيب: ولكنه الآن ...

والد الخطيبة: الآن نعم ...

والد الخطيب (وهو يتمشى ضجراً): نعم ... (يصادف أمامه خزانة كتب في أحد الأركان) عندك ... كتب؟!

والد الخطيبة: كما ترى!

والد الخطيب: وتقرأ؟!

والد الخطيبة: ولماذا لا أقرأ؟

والد الخطيب: وقتك يتسع لهذا؟!

والد الخطيبة: نعم يتسع ... لأنني لا أضيعه مع النساء!

والد الخطيب: النساء؟!

والد الخطيبة: مثلاً!

والد الخطيب (يقترّب من رف الكتب): تسمح ألقى نظرة!

والد الخطيبة: تفضل!

والد الخطيب: كتب في الجرائم طبعاً.

والد الخطيبة: ليس كلها.

والد الخطيب (يطالع بعض عناوين الكتب): زراعة الأزهار ... القرنفل وأنواعه ... زهرة البنفسج ... ما هذا؟! ... هل تهتمُّ الأزهار؟! أنت؟!

والد الخطيبة: نعم أنا! ... هل يدهشك هذا؟!

والد الخطيب: عجيبة!

والد الخطيبة: وما وجه العجب؟!

والد الخطيب: أنت مهتمٌّ بالأزهار؟!

والد الخطيبة: جداً.

والد الخطيب: أعترف أن هذا يدهشني ... لا تؤاخذني!

والد الخطيبة: لماذا؟! ... أهو شيء خارق؟!

والد الخطيب: كنت أظنك آخر من يهتم بهذه الأشياء الجميلة الرقيقة!

والد الخطيبة: ولم لا؟! ... هل حرمتني الطبيعة نعمة الإحساس بالرقّة والجمال؟!

والد الخطيب: إنها مفاجأة لي ... على أي حال!

والد الخطيبة: ماذا كنت تتوقع إذن؟! ... أن تراني بهيماً؟!

والد الخطيب (وهو يتناول كتاباً من الرف): تسمح لي ... أتصفح هذا الكتاب؟!

والد الخطيبة: تفضل!

والد الخطيب (وهو يقلب الصفحات): أحدث طبعة! ... مزينة برسوم جديدة ... ما أبدع هذا! ... إنك متهم حقاً غاية الاهتمام!

والد الخطيبة: وأنت ... بماذا تهتم؟! ... طبعاً تهتم بأشياء أخرى معروفة!

والد الخطيب (والكتاب في يده يُقلبه): لا أظنها معروفة لك بعد.

والد الخطيبة: بل معروفة لي ... وللجميع!

والد الخطيب (وهو مشغول بالكتاب): حقاً؟! ... ما كنت أعلم ذلك ... هل أنا مشهور أكثر منك إذن؟ ... حتى يعرف الجميع هوايتي، ولا يعرفوا هوايتك؟!

والد الخطيبة: هوايتك؟! ... أتسميها كذلك؟!

والد الخطيب: نعم هوايتي ... لا أعتقد أنها معروفة.

والد الخطيبة: وما هي هوايتك هذه؟!

والد الخطيب: الأزهار! ... هل كنت تعرف ذلك؟!

والد الخطيبة: ماذا تقول؟! ... الأزهار؟! ... أنت أيضاً؟!

والد الخطيب (وهو يتصفح الكتاب): نعم ... أنا أيضاً ... وعلى الأخص البنفسج ... كتابك هذا عن زهرة البنفسج رائع! ... رائع جداً ... بدأت أحترمك ... أقصد ... نحن نحب نفس الشيء ... دون أن نعرف!

والد الخطيبة: عندك هنا في هذا الكتاب ستجد كل شيء عن هذا الزهر ... إن خير ما في زهر البنفسج ليس اللون وحده ... بل الشذى ... عندما يُزرع في مساحة واسعة فإن موجة من العطر تواجهك في الصباح كلما أشرفت على حديقتك.

والد الخطيب: عندك حديقة كبيرة؟

والد الخطيبة: ليست كبيرة جداً ... إنها حول المنزل الذي اشتريته.

والد الخطيب: اشتريت منزلاً؟

والد الخطيبة: نعم ... كلفني كثيراً ... لكن كل شيء تم على خير؛ بفضل المرحومة زوجتي.

والد الخطيب: كان عندها مال؟

والد الخطيبة: لا ... ولكنها ساعدتني بتدبيرها ... إلى حد التقدير على نفسها؛ لتُوفّر الأقساط ... هدمت صحتها وحياتها؛ لتُنشئ لنا بيتاً وحديقة!

والد الخطيب: كانت إذن امرأة فاضلة؟!

والد الخطيبة: ما من زوجة مثلها في الفضل والنبيل!

والد الخطيب (ينظر إلى صورتها على الجدار): عجباً!

والد الخطيبة: كانت تحب الأزهار هي أيضاً ... وكانت هذه هي أحلامنا معاً ... أن تكون لنا حديقة نغرسها أزهاراً ... ولكني — مع الأسف — سأغرسها أنا وحدي ... عندما أتقاعد.

والد الخطيب: متى تتقاعد؟ ... بعد عام؟

والد الخطيبة: بعد عام ... نعم.

والد الخطيب: مثلي بالضبط! ... أنا أيضاً عوّلت على أن أشغل نفسي بعد التقاعد بغرس الأزهار في حديقة مزرعتي ... ما رأيك؟ ... تنصحي إذن بزراعة البنفسج؟

والد الخطيبة: إذا كانت حديقة مزرعتك متسعة ... فإني أرى أن تغرس فيها شجر المشمش ... إنه في الربيع يحمل زهراً أبيض ... يصبح عند تكاثره وتجمعه كأنه بحر من اللؤلؤ.

والد الخطيب: صدقت! ... زهر المشمش الأبيض ... حقاً هذا منظر بهيج، يملأ النفس صفاءً وجمالاً.

والد الخطيبة: إني أعرف حقاً حبك للجمال ... ولكنني كنت أظنه جمالاً من نوع آخر!

والد الخطيب: نوع آخر؟! ... مثل ماذا!

والد الخطيبة (باسماً بخبث): الكواكب!

والد الخطيب: كواكب السماء؟!!

والد الخطيبة: بل الأرض!

والد الخطيب: هل توجد كواكب على الأرض؟!!

والد الخطيبة: على المسارح!

والد الخطيب: أتمزح؟!!

والد الخطيبة: ربما ... على كل حال!

والد الخطيب: آه ... فهمت ... أظنك تلمح إلى ... نعم ... نعم ... هذه الصورة الملعونة التي التقطوها لي بين الممثلات؟! لقد فضحتني حقاً هذه الصورة! ... ولو تعلم مقدار الإلحاح في مثل هذه المواقف عندما تأتي فرقة مسرحية إلى المحافظة، ويصرون على صورة تذكارية مع المحافظ! ... من سوء حظي أنها كانت فرقة راقصة مبتدئة ... ولم أفطن إلى ذلك إلا بعد أن وجدت نفسي بينهن باسماً وضوء آلة التصوير يخطف البصر! ... ولقد استغلها ضدي استغلالاً سيئاً بعض زملائنا المتنافسين على المراكز!

والد الخطيبة: لست أنا منهم ... ولكنني سمعت هذا من بعضهم!

والد الخطيب: أنا أيضاً سمعت من بعضهم أشياء تتعلق بك ... لا داعي إلى ذكرها الآن.

والد الخطيبة: ماذا قالوا؟

والد الخطيب: سخافات ... سخافات ... تحقّق لي الآن أن كل هذه ... سخافات ... دعنا من ذلك... فلنتحدث فيما هو أهم ... ما رأيك في زهرة النرجس؟ ... إن له مزايا البنفسج، ولكن لونه ربما كان أبهى وأكثر إشراقاً ... ألا توافقني؟

والد الخطيبة: النرجس حقاً كما تقول ... ليس فيه كآبة البنفسج ... ولكن أي نوع منه تريد؟ ... يوجد أكثر من عشرين نوعاً من النرجس ... هناك مثلاً نوع من النرجس البري يسمى «الكوكر» لون زهره أصفر كله ... وله عطر قوي أخاذ ... أعتقد أن هذا النوع يصلح لك.

والد الخطيب (ينظر إليه بإعجاب): إنك يا صديقي حُجّة! ... تعرف الأنواع كلها!

والد الخطيبة: ليس كلها ... أعرف الجيد منها ... عندك أيضاً نوع من النرجس يسمى «نرجس الشعراء»، لون زهره أبيض كله ... ويسمونه في بعض الجهات «عشب العذراء» ... هذا من أجود الأنواع.

والد الخطيب: جميل ... جميل! ... اسمع أيها الصديق! ... لن أغرس زهرة واحدة بدون وجودك! ... هل تعدني؟! ... عندما نتقاعد بالطبع ... أن تزورني في مزرعتي وتُعاونني في اختيار ما ينبغي.

والد الخطيبة: أعدك.

والد الخطيب: هذا سيسعدني كثيراً.

والد الخطيبة: وأنا أيضاً يسعدني أن تكون حاضراً زراعة حديقتي!

والد الخطيب: سأحضر بكل تأكيد.

والد الخطيبة: سأريك نوعاً من البنفسج، زهره مزدوج يسمى «ماري لويز» ... لونه أبيض ... نعم بنفسج أبيض اللون! ... أليس هذا رائعاً؟

والد الخطيب (منبهراً): أبيض!

والد الخطيبة: نعم، هنا في كتاب عندي ... رسمٌ له باللون الطبيعي ... لحظة واحدة، أرجوك! ... (يأتي من المكتبة بكتاب، ويقفان متلاصقين يتأملان الرسم.)

والد الخطيب (وهو يتأمل الرسم): حقاً ... حقاً ... لون رائع! ... بديع!

(تظهر الأم تتوسط الخطيبة والخطيب وتتأبط ذراعيهما.)

الأم (تقف متعجبة): ما كل هذا الانهماك؟! ... فيم كل هذا الاهتمام؟!

والد الخطيب: في الأزهار!

الأم (بدهشة): الأزهار؟!

والد الخطيبة: نعم ... اكتشفنا ...

والد الخطيب: اكتشف أحدنا الآخر.

والد الخطيبة: هذا صحيح.

الأم: ماذا أسمع؟!

والد الخطيبة: أرجوكم ... اتركونا وحدنا قليلاً ... نحن على خير حال معاً ... وأمامنا معاً أعمال هامة ... ومشروعات جميلة ... أليس كذلك أيها الصديق؟!

والد الخطيبة: فعلاً يا صديقي العزيز!

الأم: ما هذا الذي أسمع وأرى؟! .. قل لي! إنها معجزة!

والد الخطيب (لصديقه): دعك منهم! ... قل لي! ... هذا البنفسج الأبيض ...

الأم (لزوجها): لا يا عزيزي! ... أرجوك! ... أنسيتم أننا هنا من أجل أولادنا ... لا من أجلكم أنتم فقط.

والد الخطيبة: معذرةً يا سيدتي.

والد الخطيب (وهو يطوي الكتاب على مضض): معذرة!

الأم (للخطيبة في حنان): أريهم يا بنتي الخاتم! ... أري الخاتم لأبيك أولاً.

الخطيبة (تمد إصبعها وتُري والدها): مُدهش يا أبي! ... جلبه لي من «سويسرا».

والد الخطيبة: ألف مبروك!

الخطيبة (لوالد خطيبها وهي تريه الخاتم): إنه مدهش يا عمي!

والد الخطيب: ألف مبروك يا بنتي.

الخطيبة (لصورة أمها في الحائط): انظري يا أمي! ... أليس مدهشاً! ... أليس هذا ما

كنت تُودينه لي؟ ... (للحاضرين) إنها تبتسم لي في الصورة وتبارك لي!

الخطيب (يأخذ بذراع خطيبته ويقف معها أمام الصورة): إنها تبارك لنا معاً!

الخطيبة (وهي تضغط على يده): نعم، لنا معاً!

الأم: لكما معاً حياة مديدة سعيدة، وذرية صالحة جميلة إن شاء الله.

والد الخطيب: آمين!

والد الخطيبة: آمين!

والد الخطيب (لصديقه): والآن ... هيا بنا يا صديقي نتحدث في أزهارنا.

الخطيب: لحظة واحدة يا أبي ... أرجوك! ... سأعلن إليكم الآن مشروعاتنا القادمة ...

اتفقنا أنا وخطيبتي على عقد القران بعد أسبوع واحد ... لنسافر معاً بعد ذلك في الحال إلى «جنيف».

والد الخطيبة: إلى «جنيف»!

الخطيبة: نعم يا أباي ... سناهد معاً من أجل السلام وسوف نناج هذه المرة!

الخطيب: نعم ... لأننا عرفنا كيف يمكن نزع الشوك من هذا الطريق!

(ستار)

جدول المحتويات

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع